

## الصراع بين الإسلام والوثنية في إيلخانية مغول إيران على عهدي تكودار خان وأرغون خان (٦٨١-٦٩٠هـ/١٢٨٢-١٢٩١م)

محمد سالم بكر باعمر

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

قسم التاريخ - كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز - جدة

المملكة العربية السعودية

المستخلص. يشتمل البحث على مقدمة تبين حدود دولة مغول إيران التي كونها هولاكو خان والتي عرفت (بإيلخانية المغول) في فارس أو في إيران، والسبب في إطلاق هذه التسمية عليها. فالصراع المسيحي الإسلامي، وأهمية موقعة عين جالوت في حسم هذا الصراع لصالح الإسلام، ثم تحالف المسيحية مع الوثنية في أعقاب وفاة هولاكو، وارتفاع شأن الإسلام وما دار من صراع بينه وبين الوثنية المتحالفة مع المسيحية، والآراء التي قيلت في ذلك، وكيف أن هذه الفترة (٦٦٣-٦٨٠هـ/ ١٢٦٥-١٢٨٢م) تمثل مرحلة هامة في دولة مغول إيران، لما ترصده لنا من تغيرات كانت قد بدأت تأخذ مكانها على ساحة حكام مغول إيران.

بعد ذلك تناول البحث فترة حكم تكودار، اسمه الحقيقي، تنصره في الصغر، ميله إلى الإسلام، ثم ظهوره على مسرح الأحداث السياسية، وكيف كان هو الرجل المناسب لهذه الفترة وخصائصه وإسلامه والظروف السياسية الخارجية في أيامه وصفاته وما يؤخذ عليه ورد الاتهامات الموجهة إليه وأعماله داخلياً وخارجياً ودخوله في صراع حول العرش مع ابن أخيه أرغون، وأسباب ذلك.

ثم حكم أرغون و سياسته الداخلية والأزمة المالية وسياسته الخارجية، ومنها سفاراته إلى الغرب الأوروبي في الفترة من ٦٨٤-٦٨٩هـ/١٢٨٥-١٢٩٠م وعلاقات أرغون مع جيرانه وثقافته والآثار المعمارية التي خلفها، ووفاته وعادات المغول في دفن ملوكهم والخروج بما يدل على عودة الوثنية وتراجع الإسلام في عهد هذا الخان.

وتتناول الخاتمة اختلاف المؤرخين في يوم وفاة أرغون، ولماذا كان للمسيحيين النساطرة تأثيرهم في بلاطه، ثم الرد على من يشككون في إسلام تكودار، وكيف كان عهده إرهابية قوية سبقت مولد دولة جديدة: جديدة في دينها، جديدة في انتمائها السياسي، جديدة في سياستها، ونهاية الصراع بانتصار الإسلام والمسلمين.

## المقدمة

من المعروف أن هولاءكو خان بن جنكيزخان ( ٦٦٣هـ / ١٢٦٤م) استطاع في حوالي سبعة أعوام، من سنة (٦٥١-٦٥٨هـ/ ١٢٥٣-١٢٦٠م) أن يُكَوّن امبراطورية ضخمة ، تضم إقليم خراسان وعاصمته نيسابور، وإقليم عراق العجم وهو الذي يعرف ببلاد الجبل وعاصمته أصفهان، وإقليم عراق العرب

وعاصمته بغداد، وإقليم أذربيجان وعاصمته تبريز، وإقليم خوزستان وعاصمته شستر، وإقليم فارس (إيران) وعاصمته شيراز، وإقليم ديار بكر وعاصمته الموصل، وإقليم الروم وعاصمته قونية، وغير ذلك من الأقاليم التي لم يكن لها من الشهرة مثل هذه الأقاليم <sup>(١)</sup>.

داخل هذه الحدود، الممتدة من نهر جيحون شرقاً، إلى البحر الأبيض المتوسط غرباً، كَوْنُ هولاكو خان مملكة خاصة به وبأبنائه من بعده، حيث حكمت أسرته زهاء قرن من الزمان، أي من سنة ٦٥٤هـ إلى سنة ٧٥٤هـ/١٢٥٦-١٣٥٦م. وقد أطلق على كل حاكم من هؤلاء الحكام اسم (إيلخان)، وعلى الأسرة كلها (الإيلخانيون) <sup>(٢)</sup>. أما عن السبب في تلك التسمية فيرجع إلى كلمة (إيل) المغولية، والتي تأتي بمعنى خاضع أو مطيع أو قبيلة. إذن فمعنى الكلمة المطيع للخاقان أو القآن (الملك الأعظم) أو هو الذي يمثله ويدين له بالولاء <sup>(٣)</sup>. ذلك أن هولاكو مؤسس هذه الأسرة كان يحكم إيران من قبل أخيه الخاقان، أو الخان الأعظم الذي كان يقيم في قراقورم، فهولاكو لم يكن يملك ملكاً مستقلاً، بل كان نائباً عن أخيه منكوقآن (٦٤٨-٦٥٧هـ / ١٢٥١-١٢٥٩م)، ولم يضرب باسمه سكة درهم ولا دينار، وإنما كانت تضرب باسم أخيه المذكور <sup>(٤)</sup>. وظل اسم (إيلخان) قائماً حتى وفاة قوبيلاي قآن أو خاقان سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٥م، ومنذ ذلك الوقت اختفى اسم الخاقان من السكة الإيرانية وحل لقب (الخان) محل لقب (الإيلخان)، أو بعبارة أخرى أن أبناء هولاكو الذين حكموا هذه البلاد كانوا شبه مستقلين، وكانوا فقط يظهرون احتراماً للخواقين الجالسين على عرش المغول في الصين، ويتبادلون معهم الرسل والهدايا. ومع هذا فقد جرت عادة بعض المؤرخين على أن يُطلقوا على عصر حكام المغول في إيران وحتى نهاية دولتهم سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م اسم العصر الإيلخاني أو إيلخانات المغول في إيران <sup>(٥)</sup>.

وإذا كان المغول بقيادة هولاكو خان قد دأبوا، في جميع المدن والبلدان الإسلامية التي دخلوها عنوة، على ذبح أهلها من المسلمين بسبب زوجته طوقوز خاتون المسيحية ومستشاريه من الأرمن المسيحيين، فإنهم حرصوا في الوقت نفسه على حماية أرواح وممتلكات سكانها من المسيحيين<sup>(٦)</sup>. إلا أن انتصار المماليك في معركة عين جالوت في ١٥ رمضان ٦٥٨هـ/ ٣ سبتمبر ١٢٦٠م قد بعث روحاً جديدة في المسلمين لاسيما الإيرانيين منهم الذين تحملوا وطأة الغزو المغولي كله، والذين لاقوا صنوفاً من العذاب والاضطهاد والتشريد، فقوي موقفهم، واستطاعوا أن يصمدوا أمام مناورات المسيحيين، وينافسوه في تبوء مراكز الزعامة والصدارة في دولة المغول بإيران، وصاروا يشرحون للحكام المغول تعاليم الإسلام ويرغبونهم في إعتناق هذا الدين<sup>(٧)</sup>. كما أن القلوب كانت قد بئست من النصر على المغول لاستيلائهم على معظم بلاد الإسلام، ولأنهم ما قصدوا إقليمًا إلا فتحوه، ولا عسكريًا إلا هزموه، فابتهجت الرعايا بالنصرة عليهم<sup>(٨)</sup>.

مما لا شك فيه أن معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) تعتبر من المعارك الفاصلة في التاريخ، نظراً لما ترتب عليها من نتائج خطيرة<sup>(٩)</sup>. ومنها أنه تداعى أمر المسيحيين الوطنيين في آسيا، بينما ارتفع شأن المسلمين، وكان ذلك من العوامل التي حملت من تبقى من المغول في غرب آسيا على اعتناق الإسلام<sup>(١٠)</sup>. وإن لم يحدث ذلك دفعة واحدة، فقد دخل الإسلام في صراع مرير لتحديد المصير مع المسيحية، متحالفة مع الوثنية. وذلك في الفترة التي أعقبت وفاة هولاكو خان (ت ٦٦٣هـ-١٢٦٤م) وتولي ابنه أباقا خان (٦٦٣-٦٨٠هـ/ ١٢٦٥-١٢٨٢م) من بعده، ثم في عهد تكودار بن هولاكو، ومن بعده في عهد أرغون خان حفيد هولاكو وابن أباقا خان. أي الفترة من سنة ٦٦٣ إلى سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٦٥-١٢٩١م. وما يهمننا من ذلك التحديد الزمني هو الفترة التي تولى فيها تكودار بن هولاكو، ومن بعده أرغون خان (٦٨١-٦٨١هـ).

٦٩٠هـ/١٢٨٢-١٢٩١م)، وهي حوالي عشر سنوات، وفيها كانت ملامح الصراع واضحة تماما بين الجبهتين الإسلامية، ممثلة في تكودار وعهده، والجبهة الوثنية المسيحية ممثلة في أرغون وعهده. وإذا كان يحلو لفريق من المؤرخين القول بأنه، في أعقاب مقتل تكودار ووصول أرغون للحكم، قد قُضي على شوكة المسلمين الإيرانيين، وتغيرت الأوضاع وانقلبت الموازين، وعادت مرة أخرى قوانين جنكيز خان وآداب المغول<sup>(١١)</sup>. وهو رأي له وجهته، إلا أننا لا نقبله بهذه البساطة، ذلك لأن هذا الرأي يتفق تماما مع وجهة النظر التي كان النساطرة المسيحيون المنتشرون في بلاد الإيلخان المغولي أرغون خان يروجون لها كنوع من المبالغة في إظهار نفوذهم، ويذيعون أن الإيلخان يعطف عليهم وأنه على وشك إعتناق المسيحية. وقد فات على هؤلاء النساطرة أن هذا الإيلخان كان يبدي كثيرا من العطف على القساوسة المسيحيين، ويزور كنائسهم ويحضر احتفالاتهم، وأن ما كان يفعله مع المسيحيين كان يفعله بالمثل مع الكهنة الشامانيين\* والبوذيين\*\* ورجال الدين الإسلامي. وأن سلوكه هذا لا يدل على تغيير في الدين، وإنما يخفي لا مبالاة شديدة بأمور الدين والعقائد<sup>(١٢)</sup>.

كذلك يمكننا القول إن هذا الإيلخان، وهو أرغون، كان آخر حاكم مغولي من أحفاد هولاكو خان متماديا في عجرفته التي لم يكن لها حدود، والتي أوحى إليه بالطموح في بسط سيادته على العالم كافة. ولكي يحقق هذا المشروع فقد جند جماعات لا حصر لها من المحاربين المدربين تدريباً جيداً، واستخدم خليطاً من العزيمة والرياء للتغلب على ما يعترضه من عقبات في مسيرته، ألا وهم سلاطين دولة المماليك في مصر والشام والحجاز، وأن يُكوّنَ حلفاً مشتركاً من المغول وملوك وأباطرة وبابوات الغرب الأوروبي والصليبيين في بلاد الشام، إلا أنه لم يدرك أن المسيرة التي بدأها أجداده جنكيز خان وهولاكو خان ضد تفوق الإسلام والمسلمين في آسيا قد بلغت نهايتها<sup>(١٣)</sup>. وأنه كان يستغل الأمور

الدينية لمصلحة الشؤون السياسية وتحقيق أحلامه، علما بأنه كان وثنيا متعصبا أشد التعصب لديانته، إذ يذكر لنا ماركو بولو قوله الذى يصف فيه عمه تكودار: "إنه خرج على شرعتنا، بل لقد نبذها وتخلّى عنها، وأصبح مسلما يعبد محمدا. وكم سيسوؤنا أن نسمح للمسلمين بالولاية على التتار" (١٤).

وكان أرغون خان قد ورث عن أبيه آباخان، وجده هولكو خان كثيرا من الصفات من استكبار، وعجرفة، وخطرة وقد قال عنهم أحد مؤرخينا المعاصرين " والتتار لا يُذلُّون ولا يميلون ولا يملُّون ولا ينتهون إلى غاية ولا ينتهون ولا يُغيِّرون من أنفسهم بل يغيِّرون ولا يقفون عندما به يضرُّون ويضربون. وكلما مارت شوكتهم قويت. وكلما قال ملك من عظمائهم أن الأرض له قد زويت، يرون الصلح عارا وأى عار. ويعتبرونه خوارا في الطباع بما جبلوا عليه من نفار، ويظنون الاستكبار فى الاستكثار والجموع الملفقة من القوة والاستظهار وكلما ردوا بالعزائم الإسلامية عادوا، وكلما أرشدتهم الوقائع الإيمانية إلى صواب المسالمة عادوا، لا يميل لهم جارحة على أنها بنكاية السهام الإسلامية مجروحة لا جارحة" (١٥).

والحقيقة أن عهد أرغون بن أباقا (٦٨٣-٦٩٠هـ / ١٢٨٤-١٢٩١م) يمثل مرحلة هامة في حياة دولة مغول إيران، ذلك لأن الخان السابق تكودار وجه كل اهتمامه لأن يحمل التتار على اعتناق الإسلام، واحتج على ذلك بعض قدامى المغول من الوثنيين من البوذيين والنساطرة والتفوا حول أرغون، ولم تلبث الحرب الأهلية أن نشبت، وهي في الواقع كانت تمثل اختبارا بالغ الأهمية، سوف نتعرف منه ما إذا كانت فارس المغولية كانت لا تزال محافظة على صفتها المغولية، أو أنها كانت قد أضحت سلطنة إسلامية، أو أنها كانت لا زالت حريصة على الميل إلى النساطرة واليعاقبة في الداخل، وعلى محالفة

الأرمن والفرنجة في الخارج، أم أنها سوف تدخل انذاك في تحالف مع دولة سلاطين المماليك.<sup>(١٦)</sup> والواقع أن أرغون خان كان يحرص - وكما سنرى فيما بعد - على منع خانية فارس من الدخول في الإسلام، وإن لم يكن للمعتقد الديني عنده أي أهمية، إلا أننا يجب ألا نغفل عن حدوث كثير من الاختلاط بين المغول والإيرانيين، حيث أقبل بعض المغول على الزواج منهم، مما ساعد على ذوبان الكثيرين من المغول في الشعب الإيراني<sup>(١٧)</sup>.

تلك ظاهرة كانت آنذاك جديدة وواضحة وأشار إليها الذهبي في حديثه عن يوم الجمعة الرابع من شهر شعبان سنة ٦٩٤هـ/١٩ يونية عام ١٢٩٥م في قوله: "وفيه دخل ملك التتار غازان في الإسلام، وفشا الإسلام في التتار"<sup>(١٨)</sup>. ويفسر لنا بعض المؤرخين السرفي هذا التحول، من أن غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٤م) كان يرى أن تحول الأسرة المغولية الحاكمة في إيران كان ضروريا للحكم في أرض إسلامية، وتبعه مائة ألف من أتباعه في الحال إذ تبعوا قائدهم بروح الجنود التتار الصادقة إلى حظيرة الإسلام، وسرعان ما صاروا الدعائم القوية للدين الإسلامي. كما أن الألوف المألفة الذين اعتنقوا الإسلام من المغول كانوا قد أصبحوا سياجا منيعا وفي الإسلام شر أخطار الوثنية<sup>(١٩)</sup>. ورب قائل يقول إن الذهبي، وهو مؤرخ شامي كان بعيدا بعض الشيء عن مسرح الأحداث، وإن كان قد عاصرها وهنا يكفيننا الاستشهاد بأحد المصادر الفارسية، وهو (خواندمير) عندما تحدث عن الفترة المضطربة التي شهدت الصراع بين تكودار وأرغون، يقول بصريح العبارة: "في تلك الأيام ارتفع شأن الدين الإسلامي"<sup>(٢٠)</sup>.

الفترة التاريخية التي نتعرض لها تعد من أخطر فترات تاريخ إيران، وأكثرها اضطرابا، فضلا عن أنها ترصد لنا المتغيرات التي كانت قد بدأت تأخذ

مكانها في حكام مغول إيران وبوجه خاص بداية من عهد تكودار، وكما سنشير إلى ذلك في السطور التالية، حتى أننا نجدهم مغولا شكلا، فرسًا حضارة وثقافة. كذلك نجد بعض ملوكهم قد تعصب للإسلام واعتبر نفسه حاميًا له مدافعًا عنه مقربًا رجال الدين الإسلامي له، ويؤثرهم على غيرهم من رجال بلاطه، بعد أن كان وثنيا مغوليا قلبًا وقالبًا<sup>(٢١)</sup>.

### تكودار (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م)

اختلفت المصادر في كيفية النطق باسمه وطريقة كتابته، ذلك لأن المصادر العربية تناولته بأشكال مختلفة، منها (بيكودار) و(بيكدار)، و(بكدار)، ومنها (أحمد)، أما المصادر الفارسية فمنها ما ذكر على أنه (أحمد سلطان) أو (السلطان أحمد)، أو (أحمد تكودار)، بينما جاء في المصادر التركية على أنه (توقودار)، أما النطق المغولي فهو (تكودار) أي الكامل أو الأول، وهو الذي آثرنا استخدامه، نظرًا لأنه شخصية مغولية الأصل<sup>(٢٢)</sup>. كذلك جاء في بعض المصادر أنه (أحمد أغا)، وأغا كلمة تركية تعني الرئيس أو القائد أو شيخ القبيلة، وهي المقصودة هنا، وإن كانت تعني أيضًا الخادم الخصي الذي يسمح له بالدخول على النساء<sup>(٢٣)</sup>.

هو الإبن السابع لهولاكو خان بن جنكيز خان<sup>(٢٤)</sup>. وهو الإيلخان الثالث من سلسلة مغول إيران، وهو أول إيلخان مغولي يعتنق الإسلام ويتسمى باسم إسلامي وهو أحمد، بل هو أول من ترك استخدام لقب (إيلخان) المغولي بمدلولاته التي سبق أن أشرنا إليها، وتلقب بلقب السلطان بمفهومه الديني والسياسي<sup>(٢٥)</sup>.

وينبغي أن نشير إلى أن المصادر التي تناولت الحديث عنه بوجه عام والفارسية منها بوجه خاص، بل وحتى المؤرخين المعاصرين له، لم يهتموا



بذكر شيء عن حياته وسنة مولده. وبما أنه قد قتل - وكما سنرى فيما بعد - في السابعة والثلاثين من عمره، فمن المحتمل أنه ولد عام ٦٤٦هـ/١٢٤٧م<sup>(٢٦)</sup>. وقد جرى تنصيره وهو صغير السن على المذهب النسطوري وتلقب باسم نيقولا Nicholas، تيمناً باسم البابا نيقولا Nicholas، غير أنه كان يميل للإسلام<sup>(٢٧)</sup>. وعندما غزا والده هولاكو خان إيران وبلاد الشام كان موجوداً في الصين في حضرة الخاقان قوبيلاي، والذي رأى فيه المقدرة على خوض المعارك، والحنكة والدراسة، لذلك قرر أن يرسله إلى إيران، في عهد أخيه آباخان بن هولاكو (٦٦٣-٦٨١هـ / ١٢٦٤-١٢٨٢م) لمساعدته والوقوف بجانبه إثر الاضطرابات التي نشبت في الشرق، والتي كان يذكيها وينميها حكام الدولة المغولية في التركستان، ومغول القفجاق\* في حوض نهر الفولجا، فضلاً عن خطر دولة المماليك في مصر والشام والحجاز وتهديدها لمغول إيران<sup>(٢٨)</sup>. ومن المرجح كذلك أن قوبيلاي أراد أن يبعده عن الصين، ويشغله بميراثه مع إخوته في إيران، حيث تشير بعض المصادر إلى وجود سبعة من أولاد هولاكو خان في إيران في تلك الفترة، وهم آباخان، وتكودار، وهولاجو، وجوشكاب، وقنفورتاي، ومنكوتر، وقايدو<sup>(٢٩)</sup>. كذلك يشير رشيد الدين الهمزاني (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) على لسان أحد أمراء المغول إلى ذلك صراحة بقوله: "والآن قد استولى قوبيلاي قآن على نواحي الشرق وممالك الخطأ\*\* والماجين\*\*\*، تلك الأقاليم التي لا يعلم طولها ولا عرضها إلا الله، ويُحكَمُ آباقا وإخوته الملك الذي ورثوه عن أبيهم" <sup>(٣٠)</sup>.

ويؤكد ما ذهبنا إليه من أن الخاقان الأعظم أرسله إلى إيران ليتخلص من أحد أبناء هولاكو، وليخلو له الجو في ممتلكاته في الشرق، وليشغله بميراثه من والده، وذلك لما عرف عنه من مقدرة حربية عالية، فقد وصفه ابن حبيب

(ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) بأنه كان "عالي الهمة، شجاعا، مقداما، خبيرا بالحروب"<sup>(٣١)</sup>. مما يجعله شخصا يحسب له ألف حساب.

### تكودار على مسرح الأحداث

كان أول ظهور له على مسرح الأحداث السياسية عقب وفاة أخيه أبغا (آباقاخان) الذي توفي في همدان، في ليلة الأربعاء عشرين من ذي الحجة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨٢م غمًا وكمدًا، لما بلغه من كسر عساكره في وقعة حمص سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م على يد المماليك والتي ضاع فيها زهرة شباب المغول، والتي قال عنها الأمير شمس الدين آقسنقر المنصوري، وهو أحد أمراء المماليك المغولي الأصل، ليوضح الإعداد الفائق للجيش المغولي، وفداحة الخسارة التي نزلت به: يقول "كنت بين التتر فوق العشرين سنة فما رأيتهم اعتدوا ولا جمعوا مثل هذه المرة" والتي انجلت "عن قتل الجم الغفير من التتر لا يحصون كثرة"<sup>(٣٢)</sup>.

وتوجه تكودار من كردستان إلى جغاتو للمشاركة في مراسم دفن أخيه. ولما كان العرش شاغرا فإن كبار أمراء البيت المالك المغولي والخواتين تشاوروا فيما بينهم بشأن من يقوم بمهمة الحكم. وانقسموا فيما بينهم على من يولونه الحكم، واستمرت المشاورات بينهم قرابة شهر، فمنهم من يرى تولية تكودار إستنادا إلى (إلياسا)\* التي وضعها جنكيز خان باعتباره أكبر أمراء البيت المالك بعد وفاة منكوتر (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) متأثرا بجراحه في معركة حمص سالفة الذكر، ومنهم من يرى تولية أرغون بن آباقا تحقيقا لرغبة أبيه في أن يخلفه على العرش - ولما كانت مسألة ولاية العهد لم تكن قد استقرت بعد كنظام للعمل به في الحكم لدى المغول في إيران، فقد رأى أكثر الأمراء أن الحل هو تولية تكودار إستنادا إلى إلياسا الجنكيزية. وفي يوم ٢٦ من المحرم سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢ اتفق الأمراء جميعا في مجلس (القوريلتاي) أي المجلس

الاستشاري الأعلى على الأخذ بهذا الرأي، وفي يوم الأحد ١٣ من ربيع الأول سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢ جلس تكودار على العرش، وأقيمت مراسم الأفراح والتهنئة جريا على عادة المغول<sup>(٣٣)</sup>.

وفي تصورنا أن تكودار كان هو الشخص المناسب لتلك الفترة المضطربة من حياة مغول إيران، والتي وضح فيها تمام الوضوح مدى نفوذ الأمراء والقادة المغول، كما كان هو ضحيتها، كما سنشير إلى ذلك لاحقا. كان تكودار هو الشخص المناسب، فعلى الرغم من أنه سبق تنصيبه، وهو في سن صغيرة، إلا أن هواه كان مع المسلمين، بل كان لا يرى محاربة أهل الإسلام<sup>(٣٤)</sup>. وبذل جهدا كبيرا في تأليف قلوب المغول حوله بما بذله لكبار أمرائهم من منح وعطايا وألقاب الشرف، بل وشملت عطاياه عامة الجند، حيث أعطى كل جندي ١٢٠ دينارا<sup>(٣٥)</sup>.

وقد أدرك تكودار بثاقب بصره - ولقربه من الأحداث، ولمشاركته في اتخاذ القرار، حتى قبل أن يلي السلطنة أنه عقب معركة عين جالوت - (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) أن سلطنة المماليك قد أضحت أقوى دولة في الشرق الأدنى، كما أن السلطان سيف الدين قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ / ١٢٧٩-١٢٩٠م)، بتوليته عرش هذه الدولة، أصبح أكبر زعيم إسلامي<sup>(٣٦)</sup>. وأن أخاه الراحل آباقا (أبغا) (ت ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) قد ارتكب خطأ فادحا بمعاداته، بل ومهاجمة أراضيه، وأنه دفع حياته وحياة كثير من قادته، ومنهم أخوه منكتمو، ثمنا لهذا الخطأ في موقعة حمص الشهيرة. أضف إلى ذلك أن نجم قلاوون كان في صعود، وأنه نجح في تكوين جبهة معادية لمغول إيران والصليبيين في بلاد الشام بتوقيع معاهدة صداقة في أواخر المحرم سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م مع الإمبراطور ميخائيل الثامن Michael VIII الذي تولى العرش البيزنطي من ١

كانون الثاني (يناير) ١٢٥٩-١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٢٨٢م، وذلك، لتحقيق التبادل التجاري وعدم شن الحرب بينهما أو الدخول في تحالفات ضد أحدهما الآخر، وحلف الطرفان على تلك المعاهدة وأصبحت سارية المفعول من مستهل شهر رمضان المعظم سنة ثمانين وستمئة للهجرة النبوية (٣٧).

ينبغي أن نشير إلى أن الإيلخانيين حتى ذلك العهد، أي حتى تولي تكودار العرش، لم يكونوا قد حققوا نصرا على القوات المملوكية، ولم يمنعوا إعتداءاتهم على أطراف ممتلكاتهم، وبخاصة على طول نهر الفرات، والذي أصبح الحد الفاصل بين الدولتين منذ معركة عين جالوت (٦٥٨هـ / ١٢٦٠م)، لذا رأى تكودار ببعد نظره أن تحل سياسة الوفاق بين الطرفين محل العداء وسياسة القتال (٣٨).

وكان تكودار شديد الذكاء، حيث أراد أن يُسرّب إلى السلطان المملوكي خبر إسلامه على أثر اتصاله بالمسلمين، وذلك عن طريق بعض عيونه المنتشرين في طول البلاد الخاضعة للمغول وعرضها، "فأظهر شعائر الإسلام، وألزم أهل الذمة بلبس الغيار" وهو نوع من الملابس تميز به أهل الذمة عن المسلمين، ويقصد به العمام الصفراء لليهود، والزرق للنصارى (٣٩). وهو يعلم تماما أن دولة سلاطين المماليك في عهد سيف الدين قلاوون (٦٨٩هـ / ١٢٩٠م) لديها جهاز للمخابرات على أعلى مستوى. ومما هو جدير بالذكر أن إسلام تكودار لم يقصد به الإعلان المحلي فقط، بل إنه تعدى ذلك إلى الإقليمية، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن الهدف الرئيسي منه كان تكوين رأي عام ضاغط لخدمة مصالح العاهل المغولي في العالم الإسلامي، ذلك أنه عندما جلس على كرسي الخانية في عاصمته تبريز\* وأظهر إسلامه وأشاعه في محيطه، وكتب إلى أهل بغداد في عام ٦٨١هـ / ١٢٨٢م يعلنهم أنه من المسلمين، وأنه اعتنق عقيدة التوحيد، لم

يكن هدفه هو الإعلان فقط ، بقدر ما كان يهدف إلى كسب ود غالبية المسلمين في منطقتي الشرقيين الأقصى والأدنى، هذا الود لو قدر له العيش فترة أطول كان سيكون كفيلا برأب الصدع الذي أحدثته غطرسة أسلافه من المغول، والذين كانوا يعايرون سلاطين المماليك بأن الحكم جاء إليهما اتفاقا وليس استحقاقا، وكما هو الحال لدى إيلخانات المغول، أي بالوراثة<sup>(٤٠)</sup>.

كان تكودار يدرك تمام الإدراك خطورة دولة سلاطين المماليك على الكيان المغولي في إيران، فمنذ أيام السلطان الظاهر بيبرس البندقداري (٦٥٨-٦٧٧هـ/١٢٦٠-١٢٧٩م) وضع سلاطين المماليك سياستهم على أساس انتهاز أية فرصة لقصد العراق وطرد المغول منه، وفي ذلك يقول أحد المؤرخين المعاصرين: "وفيها (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) وردت الأخبار على السلطان (بيبرس) أن هلاوون (هولاكو) هلك في سابع ربيع الآخر بمرض الصرع... وأن التتار اجتمعوا على ولده أبغا، وأن بركة قصده وكسره. فعزم السلطان على التوجه إلى العراق لاغتنام الفرصة في هذا الوقت فلم يمكنه ذلك. وورد الخبر أن الفرنج ربما لما بلغهم فتوح السلطان قالوا: "نقصد الديار المصرية لنسترجع ذلك منه. فتأخر السلطان بهذا السبب عن قصده العراق"<sup>(٤١)</sup>. وما يذكره المصدر نفسه في سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٨م في أيام السلطان نفسه من قول: "وفيها وصل رسول من أبغا ملك التتار إلى دمشق، وبصحبه مجد الدين دولة خان، وسيف الدين سعيد ترجمان، يقول: "إن الملك أبغا، لما خرج من الشرق، تملك جميع العالم ودخلوا تحت طاعته، ولم يخالفه مخالف، ومن خالفه مات. وأنت لو صعدت إلى السماء وهبطت إلى الأرض ما تخلص منا، والمصلحة أن تجعل بيننا وبينك صلحا". ومن جملة المشافهة يقول: "أنت مملوك وانبعث في سيواس\*، فكيف تشاqq ملوك الأرض". فكان من جوابه أن: "تتظر لنفسك بعين الشفقة، وتخرج عما في يدك من العراق والروم والجزيرة والموصل وديار بكر،

وتحقق دمك ودم جيشك". وكان السلطان بدمشق فردهم بهذا الجواب"، واضح من كلام هذا المؤرخ وهو من كبار المماليك تعليقه على ما حدث من إقامة تحالف بين الظاهر بيبرس وبركة خان مغول القفجاق، أن الهدف من ذلك التحالف هو "قلع آثار بيت هلاوون" <sup>(٤٢)</sup>.

ومما لا شك فيه أن تكودار كان قد وضع نصب عينيه وصية والده هولاكو خان، التي أوصى بها أمراء المغول من قبل وهي: إن خروج مصر عن دائرة نفوذ المغول يعنى بقاءها مركز الهجوم الرئيسي عليهم <sup>(٤٣)</sup>. لذا فقد فرضت الأوضاع السياسية عليه، أنه ما دام لا يستطيع قهر مصر، فإن أقل ما يجب عمله نحوها هو تحييدها، وأن ذلك لن يتأتى إلا عن طريق تسريب معلومات تفيد بأنه أسلم، ولأنه أول حاكم مغولي يسلم، ويدعو قومه من المغول إلى الدخول في الإسلام، فهو بهذا، وكأي داعية إلى دين جديد، لابد وأن تُحْدِثْ دعوته زلزالا عنيفا في قومه، ولابد أن يلقي معارضة شديدة، وكان في حاجة إلى أن تمتد إليه يد المسلمين حكامًا ومحكومين في كل مكان بوجه عام، ومن السلطان المملوكي كأكبر زعيم إسلامي بوجه خاص. وهذا واضح تمام الوضوح في السفارة التي أرسلها بناء على توصية مستشاره الخاص الشيخ كمال الدين عبد الرحمن الرافعي \* <sup>(٤٤)</sup> والتي ذكر فيها أنه أسلم في مرحلة الصبا وزمان الحداثة، وأنه يطلب الصلح وحقن الدماء. وأنه رفض ما اقترحه القوريلتاي من حشد الجيوش الجرارة وإنفاذها إلى بلاد الشام، وأن تلك الفكرة كانت مخالفة لضميره الذي يرغب في حقن الدماء، وتقوية شعائر الإسلام. كما يوضح في خطابه أنه أمر بإصلاح أمور أوقاف المسلمين، وعماراة المنشآت الموقوفة، وإيصال ريعها إلى مستحقيه؛ وتعظيم الحاج وتأمين سبله، وتأمين التجار المسلمين الوافدين إلى بلاده من دولة المماليك، على أنفسهم ومتاجرهم وأموالهم. و كان يرى أنه متى انتظم الصلح فلا حاجة لإرسال الجواسيس <sup>(٤٥)</sup>.

بمراسلته للسلطان المملوكي سيف الدين قلاوون كان تكودار يدرك أنه بهذا العمل سيغضب كبار أمراء المغول الذين لم يسلموا، لأن معنى هذا أنه سيقضي على آمالهم وطموحاتهم الزائفة في توسيع حدود مملكتهم في الجنوب الغربي لإيران ، أي في بلاد الشام ، ذلك لأن حكام الممالك في مصر والشام والحجاز كانوا فعلا بمثابة السد المنيع الذي حال دون تجاوز المغول للحدود الطبيعية الواقعة غربي إيران، مما كان سيكون عملا له أثره الكبير في تشكيل جبهة معارضة لتكودار والانقلاب عليه <sup>(٤٦)</sup>. بل إنه بتقربه إلى السلطان المملوكي سيقبل موازين القوى الدولية لصالح الممالك، ذلك أن الرغبة لدى المغول والفرنج كانت واحدة، وصار تحطيم قوة الممالك هدفا مشتركا بين أبناء الغرب الأوروبي والإيلخانيين <sup>(٤٧)</sup>.

وإذا كان أمراء المغول الذين تأمروا على تكودار للإطاحة به ، واستغلوا فرصة مراسلة المنصور سيف الدين قلاوون وطلبه الصلح، على أنه إساءة وإذلال لهم، فمن المؤكد أنه أحس بعدم استطاعته الانتصار على الممالك، فلم تكن قد مرت سوى أيام قليلة على الكارثة التي حاقت بدولة مغول إيران في موقعة حمص، كما أنه شعر بأن استعداداته الحربي لا يمكن أن يرتفع مستواه إلى مستوى استعداد الممالك، يضاف إلى ذلك أن الأمور كانت غير مستقرة في بلاده، فأقبل على طلب الصلح برجاء أن تتحسن العلاقات بينه وبين الممالك وهذا فعلا ما أشار إليه رئيس ديوان الإنشاء في مصر، أى وزير الخارجية بمصطلح عصرنا الحالي، في عبارته التي قال فيها: إن طلبه الصلح كان مكرًا وخديعة. وهو دليل آخر من شاهد عيان على بعد نظر هذا السلطان المغولي <sup>(٤٨)</sup>.

الواقع أن تكودار كان في موقف لا يحسد عليه داخليا وخارجيا، ففي الداخل كان فريق الأمراء المغول الحاقدين عليه والرافضين لتصرفاته، أما في الخارج

فكان هناك خان المغول الأعظم (قوبيلاي) الذي كان يهيمه القضاء على فكرة الإسلام التي اعتنقها السلطان أحمد تكودار، والتي أصبحت تهدد الكيان المغولي - كحكم وثني - بالزوال، وبالتالي تقضي على نفوذ الخاقان في كيان الدولة الإيلخانية، وتقسم عرى الصلات الوطيدة بين الدولتين على نحو ما حدث والذي مهد له فعلا تكودار بحذف لقب (إيلخان) من ألقابه، وكما سبق أن أشرنا إليه، وذلك بعد مدة في عهد السلطان محمود غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٩٤-١٣٠٣م)، أو بعبارة أخرى أنه مهد لما ستأتي به الأيام وتنبأ به <sup>(٤٩)</sup>. إلا أننا يجب أن نذكر أن تكودار باعتناقه الإسلام، لم يكن في المأزق الحرج السابق نفسه، والذي عاش فيه أخوه آباقاخان، والذي كان مهدها من جانب مغول القبيلة الذهبية\* والمماليك، وكذلك كان يهدده حكام أولوس (قبيلة) جغتاي فيما وراء النهر وتركستان، وقد كانوا مسلمين أيضا، لذلك لم نسمع في فترة حكمه، بالرغم من قصرها، عن حدوث هجوم من قبلهم ضده <sup>(٥٠)</sup>.

في رأينا أن تكودار كان ذا أفق واسع ملما بتطورات الأحداث الدولية حتى قبل أن يلي السلطنة، فقد كان أخا لآباقاخان، وأحد قادته المقربين، وعلى دراية بما يدور من أحداث داخليا وخارجيا. وربما يكون قد أدرك أن الدخول في علاقات دبلوماسية مع الغرب الأوروبي المسيحي لن يأتي بالآمال المرجوة منها. حيث ان الروح الدينية - والمعنوية عند الفرنج الصليبيين كانت قد ضعفت، ومن ناحية أخرى كانت سلطة البابوية قد ضعفت حتى أصبحوا أتباعا للأباطرة والملوك <sup>(٥١)</sup>. وإنه إذا كانت هناك محاولات لعقد تحالف مع الغرب الأوروبي، فإن تلك الفكرة كان المحرك لها ملك أرمينية الصغرى ليو الثالث LeoIII، الذي كان يبغى انتزاع بيت المقدس - بأي وسيلة - من أيدي المسلمين <sup>(٥٢)</sup>. وأن سلفه، وهو آباقا الذي نحا هذا النحو، كان يريد أن ينهض منهج والده (هولاكوخان)، وأن دافعه إلى ذلك أنه كان مهدها من جانب مغول القبيلة الذهبية



أو مغول القفجاق والمماليك وكلهم مسلمون، أما تكودار فقد كان مسلماً، وأن الإسلام كان كفيلاً بالقضاء على العداوة الناشبة بين مغول إيران، وبين مغول القبيلة الذهبية والمماليك. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن فكرة تكوين إتحاد عسكري مع التتار، لم تعد هي مطلب بعض رؤساء أوروبا آنذاك. والدليل على هذا هو توجه الحملة الصليبية الثامنة (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) إلى تونس والذي أشار بوضوح إلى أن الاتحاد مع المغول لم يعد أمراً مطلوباً أو أمراً ملحقاً. كذلك ربما كان يدرك ما آلت إليه الأحوال في أوروبا بحيث ظهر جلياً أن الغرب الأوروبي، لم يعد قادراً على أن يرسل إلى الشرق حملة من الحملات<sup>(٥٣)</sup>. كما رأى بعيني رأسه أن أخاه أباقا كان يأمل، من توطيد علاقاته بالغرب المسيحي تنظيم حملة مشتركة ضد المماليك في مصر وبلاد الشام، إلا أن ذلك لم يتحقق<sup>(٥٤)</sup>.

كذلك أدرك تكودار أن دولة سلاطين المماليك بعد معركة عين جالوت وحمص فيما بعد قد غدت في مركز الزعامة في العالم الإسلامي، وأنها الدولة الوحيدة التي استطاعت أن تنتصر على عدوين خطرين: الصليبيون من جهة والمغول من جهة أخرى. ولذا فقد كان عليه وهو المسلم أن ينظر إلى الدولة المملوكية نظرة كلها إجلال. كما أنه بتفكيره هذا كان سابقاً لعصره، لأنه أول حاكم مغولي يظهر رغبته في أن يعيش في سلام ومودة مع جيرانه المسلمين، ونبذ الخصام والشقاق بينه وبين الإخوة المسلمين، وعلى هذا الأساس فقد أقدم على الخطوة الجريئة نحو تخفيف حدة التوتر مع دولة سلاطين المماليك، وبعث نبأ إسلامه إلى الملك المنصور سيف الدين قلاوون في كتاب مؤرخ في شهر جمادى الأولى سنة ٦٨١ هجرية، أغسطس سنة ١٢٨٢، وسأل اجتماع الكلمة وإخماد الفتنة<sup>(٥٥)</sup>.

ولم يكن من السهل على السلطان المملوكي تقبل ذلك التغيير المفاجيء من أحد حكام المغول بما اشتهر عنهم من مكر وخديعة ، فبعد أن تحقق من صحة سفارته ، رد عليه ردا جميلا، وهنأه بإسلامه ، ، وطلب أن يكون التحالف بين المماليك ومغول إيران ضد العدو المشترك وهم الفرنج أي الصليبيون <sup>(٥٦)</sup>. إلا أن بعض قادة المغول اعتبروا مراسلة تكودار لسلطنة المماليك، وجهوده في وقف العداء بين الدولتين المغولية والمملوكية خروجاً على حكم إلياس، وقلبا للسياسة المغولية رأساً على عقب، بوضعه حدا للحرب بين مغول فارس والمماليك. وهم الذين سفكوا دماء المغول أنهاراً في حروب الشام وآسيا الصغرى <sup>(٥٧)</sup>. ومما يؤسف له حقاً أن مدة حكمه كانت قصيرة، إذ "ملك قرابة سنتين واشهر" فلم يمهلها القدر لأن تظهر آثار سياسته وتم قتله "عن سبع وثلاثين سنة" في ليلة الخميس ٢٦ من جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م <sup>(٥٨)</sup>. وهكذا يمكن القول بأن تكودار قد بذل جهداً كبيراً في سبيل الإرتقاء بالإسلام، والاندماج في المجتمع الإسلامي المحيط به، سواءً مع جيرانه المماليك من الغرب، أو من القبيلة الذهبية المغولية أو من المجتمع الإيراني المسلم في ذلك الوقت وهذا الجهد من قبل تكودار يعتبر نصراً للإسلام وأهله على الوثنية وعلى المسيحية من قبل حاكم مغولي، خالف الأنظمة المغولية، والعادات والتقاليد الوثنية، وأغاظ بهذا العمل المجتمع الوثني في إيران والمجتمع المسيحي في أرمينيا وبلاد الشام. وهذا ما سنراه عند الحديث عن صفات تكودار في الصفحات التالية.

### صفاته

إن المصادر المعاصرة التي تناولت سيرة تكودار غلب عليها طابع الاختصار الشديد والمخل في الوقت نفسه ، ولكنها مصادر موثوق بها ، وأهم ما

يميزها هو النزاهة في أحكامها بعكس ما يردده بعض المستشرقين المغرضين<sup>(٥٩)</sup>. ومن سلك طريقهم من مؤرخينا المحدثين في بعض الأحيان<sup>(٦٠)</sup>.

أول صفة يمكن أن نقف عليها لهذا العاهل المغولي هي صفة التسامح، وهي صفة شهد له بها رجل من رجال الدين المسيحي، وهو ابن العبري، باعتباره رئيساً للكنيسة السريانية وكان معاصراً له وشارك في احتفالات تنصيب الخان الجديد أحمد تكودار. وقد توفي ابن العبري في عهد خلفه أرغون سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م يقول انه بعد توليه الحكم: "أظهر الإحسان والشفقة لجميع الأهالي، ولا سيما لرؤساء الأديان المسيحية. وكتب الفرامين بإعفاء الكنائس والأديار والقسوس والرهبان من الضرائب والخراج في كل مَصْرٍ وناحية"<sup>(٦١)</sup> وفي كتاب آخر له يقول: "أنه لما جلس على كرسي المملكة يوم الحادي والعشرين من حزيران" لتلك السنة، سنة إحدى وثمانين وستمائة، وعنده الكفاية والدراية والكرم، أخرج من الخزائن الأموال شيئاً كثيراً، وقسم على الأولاد والأمراء والعساكر، وأظهر الإحسان والشفقة إلى جميع المغول، وإلى الأمم الباقية، وخصوصاً إلى أكابر المسيحيين"<sup>(٦٢)</sup>.

كذلك نقف على بعض صفاته الأخرى من مؤرخ مسلم معاصر حين يقول: "وكان من أصوبهم (يقصد أصوب ملوك المغول) رأياً في ذلك، وأسلكهم لمنهج الصواب الذي كان قد غُمَّ على من قبله ما لوضوح المصلحة من مسالك، وهو الملك أحمد بن هولأكو"<sup>(٦٣)</sup>.

ومن يتصفح رسالته التي أرسلها للسلطان المنصور سيف الدين قلاوون، والمدونة في أواسط جمادى الأولى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م يجد أنها في بداياتها مليئة بالعبارات الدالة على أنه كان محباً للسلام ومصرأ عليه، فقد أبدى معارضته لمجلس القوريلتاي فيما اتخذه من قرار بإرسال جيش كبير لمحاربة

سلطنة المماليك، فيقول: "فكرنا فيما تمخضت زبدة عزائمهم عنه واجتمعت أهواؤهم وآراؤهم عليه فوجدناه مخالفاً لما كان في ضميرنا من إفشاء الخير العام الذي هو عبارة عن تقوية شعار الإسلام وأن لا يصدر عن أوامرنا ما أمكننا إلا ما يوجب حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وتجري به في الأقطار رخاء نسائم الأمن والإيمان" (٦٤).

ويعلق على هذا أرنولد بقوله: "إن من يدرس تاريخ المغول ليرتاح عندما يتحول من قراءة ما اقتترفوه من الفظائع، وما سفكوه من الدماء، إلى أسمى عواطف الإنسانية وحب الخير التي أعلنت عن نفسها في تلك الوثيقة التاريخية التي كتبها تكودار أحمد إلى سلطان المماليك في مصر، والتي يدهش الإنسان لصدورها من مثل ذلك الخان" (٦٥).

كذلك كان من أهم ما يميزه الاعتماد على البطانة الصالحة من العلماء، وجعلهم أصحاب الرأي والمشورة في كل أموره، وفي ذلك يقول المؤرخ شافع بن علي: "فإنه لما أفضت نوبة ملك التتار إليه، وانعقد إجماعهم عليه، وصار إليه أمرهم، وأفضى إليه سرهم، قيض الله له من أهل الموصل شيخاً يقال له عبد الرحمن الرافعي، فهداه السبيل وأورده السلسبيل، وحسن به الإسلام، ونذمه على ما مضى في كفره من الأيام، وأراه أن المصلحة في مصالحه مولانا السلطان، وأن يسكن الحال من الجانبين رفقا بمن بقي عنده من جند القان، فبادر إلى رأيه" (٦٦). هذا الشيخ كان مستشاراً لتكودار، وأكثر الناس ثقة فيه. ويقول عنه مؤرخ معاصر: إنه كسب ثقة أم تكودار عندما رحل إلى بلاد التتار، وكذلك نال عطف وثقة تكودار الذي كان ما يزال صغيراً، وعندما كبر أقنعه بالإسلام، وعقب اعتقاله العرش، نصحه بالاتصال بالسلطان قلاوون، وعقد معاهدة صلح معه (٦٧).

يشير المؤرخ الفارسي خواند مير (ت ٩٤٢هـ) إلى عدله فيقول: "بعد وفاة آباقا، وإقامة مراسم العزاء بتاريخ الأحد ١٣ ربيع الأول سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م، جلس تكودار على العرش باتفاق الأمراء. وأفاض على أهالي العراق وآذربيجان بعدله.. ورفع من شأن الشيخ كمال الدين عبد الرحمن، وفوض إلى أتباع سيادته الأوقاف في كافة الممالك المحروسة. وكف أيدي الأطباء والمنجمين المسيحيين واليهود عن الأوقاف بعد أن كانوا يسيطرون عليها في السابق" (٦٨).

كذلك وصفه صاحب كتاب (النجوم الزاهرة) بالشجاعة والحكمة (٦٩). إلا أن صاحب (الدرة الزكية) وصفه بأنه كان "كثير التغفل، قليل التدبير"، وأرجع ذلك إلى أنه عندما قبض على ابن أخيه أرغون وقرر قتله، فدخلت عليه الخواتين أي نساء الأمراء من المغول، واستقبحن قتله لابن أخيه، ومازلن به حتى تركه في حراسة بعض أمرائه من قادة جيشه، وما ترتب على ذلك من فك أسرهِ، وعزله لعمه ثم إعدامه له (٧٠). كما يقول عنه ابن الفرات (٧٣٥-٨٠٧هـ/ ١٣٣٤-١٤٠٤م) في (تاريخه)، "وكان أحمد أغا كثير التغفل" (٧١). أو بعبارة أخرى، أنه لم يكن حازماً في الأوقات التي تتطلب الحزم، بل كان يظهر شفقة غير عادية تجاه أعدائه. ومما لا شك فيه أنه كان يعلم أن الحقد من أضر الأشياء للملك، وأن أوفق الأشياء له الصفح والعفو والغفران والتناسي. وذلك من مخالطته لعلماء المسلمين (٧٢). و جدير بالذكر أن الشفقة الزائدة لم تكن هي السمة الواضحة لتكودار في كل الظروف، وخير من عبر عن ذلك هو المؤرخ الفارسي صاحب (حبيب السير) في حديثه عن إسلام تكودار اذ يقول: "ولم يسعد هذا التصرف بعض الأمراء الوثنيين من المغول فتحالفوا مع شقيق السلطان أحمد (قنقورتاي) لخلع السلطان، وإطفاء نور الإيمان، والسعي لإعلاء مكانة عبادة الأوثان، وسائر الديانات الباطلة. وكشف السلطان تدبيرهم وكيدهم فأمر بقتل الأمراء المفسدين وقضى على قننة (قنقورتاي) وخلص المسلمين من ظلمه

وعدوانه" (٧٣). وهذا ما يؤكد لنا مصدر فارسي آخر معاصر في قوله: "وبعد فترة من الوقت تمرد أرغون خان على أحمد وتحالف معه عدد من الأمراء ضد أحمد. ولهذا السبب قتل أحمد أخاه وعددا من الأمراء الآخرين، وأرسل عام ٦٨٢هـ الأمير اليناك ولفيفا من الأمراء لمحاربة أرغون" (٧٤).

وينبغي أن نشير إلى أن تكودار باعتباره أول حاكم مسلم لمغول إيران لم يكن من ذلك النوع من الحكام المستبدين، الذين يمكن أن نلتمس لهم العذر فيما اقترفوه، لأنهم مهما بلغوا من القوة، ففيهم ضعف الرجل المستبد الذي إذا اشتبه في شخص يعمل للقضاء عليه، أو أحس بالخطر يأتيه من أي مكان ثارت ثائرتة على أولئك الذين قد شك فيهم مهما كانت مكانتهم من نفسه، ونسي كل رباط يربطه بهم في الماضي، وسيطرت عليه فكرة واحدة هي إبعاد الخطر عن نفسه وملكه بأي ثمن، ووقف منهم موقف الدفاع عن النفس الذي تقره جميع الشرائع والقوانين. فإذا كان بعض المؤرخين قد أخذوا عليه بعض الهنات، فإن ذلك لا ينقص شيئا من قدره، وكيفينا ما قاله عنه أحد المؤرخين المعاصرين له من أنه كان "عالي الهمة، شجاعا مقداما، خبيرا بالحروب، مملكته متسعة وجنده وافر، وأمواله جزيلة" (٧٥).

وتتطلب منا الموضوعية ليس فقط رد ذلك الاتهام، بل إظهار الحقيقة حول ما ذكر من غفلته وعدم حزمه، إن عدم إقبال تكودار على التخلص من ابن أخيه أرغون الذي ثار عليه لم يكن عن تقصير منه أو تغافل أو عدم اتخاذ سياسة الحزم في المواقف التي تتطلب الحزم، إنما كان ذلك عن موعدة وعددها لأحد كبار قادة جيشه وهو الأمير "بوقا" أو بوغا الذي رأى أن أرغون قد أصبح عاجزا عن مقاومة الجيش الذي أرسله تكودار لملاحقته، وبينما أرغون ينتقل من مكان لآخر فرارا من تكودار وجيشه، تقدم هذا القائد إلى تكودار "وقال له: إن

وعدتني لا تؤذي أرغون فأنا أمضي إليه وأحضره. فعاهده أحمد كعادة المغول وقال: إن جاء إليّ أرغون فلن أؤذيه أصلاً. فسارع بوقا إلى الحصن وخاطب أرغون وجاء به إلى أحمد، ففرح به جداً وأكرم وفادته، وأعد لأقامته خيمة كبيرة، وأمر بأن يحرسها أروق أخو بوقا ومعه أربعة آلاف جندي<sup>(٧٦)</sup>.

ويؤكد ابن العبري (٦٨٥هـ/١٣٨٦م) وغيره على حزمه التام من أنه في اليوم الثالث تغير على ابن أخيه"، وفي تلك الليلة كشف سره لبعض الأكابر وقال لهم: "إن لم أهلك أرغون وسائر أولاد الملوك فلن تنتظم لي السلطنة. "أما الأمير بوقا (بوغا) فإنه لما تحقق له الأمر وعرف نية أحمد، وأنه كان قد أزمع أن يهلك أبناء الملوك قاطبة، دفعته الحماسة، فطاف عليهم وأخبرهم بالأمر فنهضوا ليلاً وقصدوا مكان أرغون وأخرجوه وألبسوه الدرع ودفعوا له السلاح وأركبوه حصاناً. واتفقوا على أن يملكوه عليهم خلفاً لأبيه آباقا<sup>(٧٧)</sup>.

ومن حقه علينا كذلك أن نبين حزمه مما يرويه (خواندمير) من أنه وغيره من المؤرخين عندما جلس على العرش، كان أول قرار أصدره إرسال الرسل إلى همذان\* لإحضار خواجه علاء الدين عطا ملك الجويني\*\* إلى معسكره، وسلم إلى خواجه شمس الدين محمد اليزدي زمام الشؤون الإدارية والمالية. وهنا ثارت ثائرة مجد الملك اليزدي\*\*\* الذي اتصل بأرغون ابن آباقا حاكم خراسان وأبلغه أن صاحب الديوان قد دس السم لوالده، وعندما وصل الخبر بذلك إلى أحمد تكودار خان أمر بالقبض على مجد الملك كما أمر بإعادة كل ما سُلِب من علاء الدين عطا ملك الجويني (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) في عهد آباقا، وسلم مجد الملك إلى خواجه علاء الدين عطا ملك وتم قتله، وعين السلطان أحمد علاء الدين عطا ملك الجويني على حكومة بغداد مرة أخرى، وظل على رأسها إلى أن توفي في ليلة السبت الرابع من ذي الحجة عام ٦٨١هـ/١٢٨٢م<sup>(٧٨)</sup>.

ومع هذا فإنه يؤخذ عليه عدم بته السريع أحياناً في بعض المواقف <sup>(٧٩)</sup>. وكثرة اللجوء إلى والدته قوتي خاتون يستشيرها في مهام الأمور، والعمل وفق ما تشير به. وإذا كانت المرأة المغولية لها شخصيتها البارزة المتميزة وقوة تأثيرها على سلاطين المغول وأمرائهم <sup>(٨٠)</sup>. إلا أن العلماء المعاصرين لتلك الفترة قد رأوا في مشاورتها عيباً، إذ يقول أحدهم وهو معاصر: "فأما مشاورتهن في الأمور فمجلبة للعجز، ومدعاة إلى الفساد، ومنبهة على ضعف الرأي، اللهم إلا أن تكون مشاورتهن يراد بها مخالفتهم" <sup>(٨١)</sup>. ويبدو أيضاً أنه كان سليم الطوية، قليل الدهاء والخبرة في تمييز الرجال، فقد اعتمد على أشخاص لم يكونوا مخلصين له، وفي مقدمتهم بوقا (بوغا) الذي كان يتمتع بحرية تامة في حاشيته، وينقل كل أخباره إلى أعدائه وتحركاته. والأدهى والأمر من كل ذلك أن بوقا خدع السلطان خديعة كبرى، عندما تخلف عن مرافقته في أثناء رحيله إلى زوجته وبعد القبض على أرغون، فقد بيت النية على الغدر، وأخذ على عاتقه تحرير أرغون من سجنه، فقلب بهذا كل الموازين، وغير الأوضاع تماماً لصالح أرغون <sup>(٨٢)</sup>. وكان ينبغي عليه أن يحفظ عن ظهر قلب النصيحة التي سجلها ابن طباطبا، وهو معاصر له، وهي: "ومما يجب على الملك الفاضل إمعان النظر في أمر الأسرار وصونها وتحصينها وحراستها من الإفشاء والذیوع.. فكم من مملكة خربت، وكم من نفس تلفت بسبب ظهور سر واحد. وحفظ السر وكتمانه من أفضل ما اعتنى به الإنسان" <sup>(٨٣)</sup>.

### أعماله

كان أول عمل قام به عقب توليته العرش أن قام بتوزيع الأموال والجواهر وفاخر الثياب على نسائه وعظماء دولته، وعم خيريه الجند كافة، وذلك جرياً على عادة المغول المتبعة في هذا الشأن، والتي عرفت باسم نفقة البيعة، ويبدو



أن الخزانة غدت خاوية لما أنفقه في نفقة البيعة، ولذلك قيل أنه في تلك السنة ألزم التجار ببغداد بالقرض والمساعدة، وضيق عليهم في ذلك، وألزم الناس بأجرة مساكنهم عن ثلاثة شهور، وطولب أرباب الأموال بإقامة عسكر، وقرر عليهم على قدر أحوالهم<sup>(٨٤)</sup>.

ولعلنا لا نغالي إذا قلنا إن السلطان أحمد تكودار كان أول حاكم من حكام مغول إيران يضيء الشعلة التي مهدت لأن يحرز الإسلام نصرا ساحقا، وغلبة مطلقة على سائر الأديان، التي كانت تتغلغل في تلك البلاد، إذ أعلن إسلامه، وإن لم يقدر له أن يرى دخول المغول كلهم في الإسلام بعد ذلك بعدة سنوات، فلم يكن هناك بد من أن ينهض الإسلام من تحت أنقاض عظمته الأولى، وأطلال مجده التالد في ذلك الحين وفي تلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية والمسيحية والإسلام<sup>(٨٥)</sup>. لذلك نراه يلزم أكابر المغول بالإسلام طوعا أو كرها<sup>(٨٦)</sup>. وإن كان قد عارضه بعض أمراء المغول وكونوا حزبا تأمر عليه وقتله. إلا أن دعوته للمغول للدخول في الإسلام قد آتت ثمارها، ذلك أنه بالرغم من أن ابن أخيه الذي قتله وهو أرغون خان قد أصدر فرمانا فور توليه بالعفو العام، إلا أن هناك قولاً عن فرقة كبيرة من المغول فرت إلى بلاد الشام هربا بدينها، "وأن فرقة تقديرها أربعة آلاف فارس حضرت مقفزة من التتار طالبين الشام المحروس" في شهر جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وهو التوقيت نفسه الذي تولى فيه أرغون وأصدر قراره بالعفو العام<sup>(٨٧)</sup>. أضف إلى هذا ما يتردد في كثير من المصادر لتلك الحقبة من أن (تكودار) واجه معارضة شديدة من قبل كبار أمراء المغول وقادتهم للدخول في الإسلام، إلا أنه تغلب عليها عن طريق بذل العطايا والمنح وألقاب الشرف، حتى إن عددا كبيرا من التتار دخل في عهده في عقيدة المسلمين<sup>(٨٨)</sup>. وخير من عبر عن حقيقة انتشار الإسلام بصورة واسعة في أوساط المغول هو المؤرخ لتلك الحقبة ابن العبري حيث

يقول: "وغير خاف أن أغلب المغول في زماننا قد دانوا بالإسلام وأصبحوا يدافعون عنه، اللهم إلا إذا اضطهرهم الزعماء إلى أن يقاتلوا المسلمين ويبطشوا بهم" (٨٩).

وعلى الصعيد الداخلي أيضا، ولأنه كان يدرك الحكمة القائلة بأن "العلم يُزيّن الملوك أكثر مما يزيّن السوقة" (٩٠). ولأنه قد ورث عن أبيه هولالكو خان حبه للعلم والعلماء؛ فقد جمع حوله عددا كبيرا من كبار علماء المسلمين، وسلم زمام الأمور إليهم. "وسلم زمام الوزارة لخواجه شمس الدين محمد الجويني"، ورفع من شأن الشيخ كمال الدين عبد الرحمن الرافعي، وفوض إلى أتباعه الأوقاف في كافة الممالك المحروسة. وسلم رجال الحكومة مبلغا من الديوان لإعداد قوافل الحجيج، وبذل جهودا طيبة لجمع وإرسال أوقاف الحرمين الشريفين. وعمل على تدعيم سائر أركان الشريعة. وهدم معابد الأوثان والكنائس، وشيد مكانها المساجد والمدارس الإسلامية" (٩١). إلى جانب أنه أرسل الرسل إلى همذان لإحضار خواجه علاء الدين عطا ملك الجويني إلى معسكره وأعاد إليه كل ما أخذ منه في عهد آباقخان، وأعاده مرة أخرى على رأس حكومة العراق (٩٢). أي "صاحباً للديوان بها"، وعمر كثيرا من النواحي، ووفر الأموال، وساق الماء من الفرات إلى النجف، وعمر رباطا بمشهد علي عليه السلام، ولم يزل مطاع الأمر، رفيع القدر إلى أن سقط من على فرسه فمات في ذي الحجة سنة ٦٨١ هـ (٩٣).

كما عهد بحكومة خراسان ومازندران\* وآران\* وآذربيجان\*\*\* إلى الخواجه شمس الدين محمد ليحكمها بمفرده، وكلفه أيضا بأن يشترك مع سلاطين السلاجقة في حكم بلاد الروم، وولى ابنه الخواجه هارون\*\*\*\* على ديار بكر والموصل وإربل\*\*\*\*\* (٩٤). كذلك أصدر السلطان أحمد أوامره، بناء على مشورة شيخ الإسلام كمال الدين عبد الرحمن الرافعي، بحذف المبالغ التي كانت

تصرف للمسيحيين واليهود من الدفاتر الإيلخانية. ويبدو أنها كانت مبالغ كبيرة ومع هذا كان ينتهج سياسة سلمية تجاه أتباع الديانات الأخرى، إلا أنه كان عنيفا مع البوذية بوجه خاص، فخرّب معابدهم، وكانت مواجهتهم ضرورة حتمية، كما أنها كانت الضربة القاضية التي أوشكت على الإجهاز عليهم، لولا فترة الصحوّة والتي عادة ما تسبق الموت، وهو ما حدث بعد ذلك بحوالي أربع سنوات وهي فترة قليلة في حياة أي شعب من الشعوب، ولم ينس لهم ما قاموا به لدى الخان الأكبر (قوبلاي عم تكودار) والسيد الأعلى لإيلخانية فارس والذي بلغ من سخطه على تكودار أن هدد بالتدخل؛ وسرعان ما علم تكودار بأن المسؤولين عن استعداء قوبلاي ليسوا إلا زعماء الكنيسة النسطورية، والبطريرك يهبالاها الثالث \*\*\*\*\* Uahbi Lahah III، ونائبه سوما Sauma. فأمر تكودار بإلقاء البطريرك في الحبس؛ ولم يطلق سراحه إلا بعد توسط الملكة الأم قوتوي خاتون، أي أم تكودار<sup>(٩٥)</sup>.

وعن سياسة تكودار واهتماماته الاقتصادية، فالحق يقال: إن المصادر التي بين أيدينا سواء الفارسية أو العربية قد خلت تماما من ذكر أي معلومات، إلا ماجاء في رسالته التي أرسلها للسلطان المملوكي سيف الدين قلاوون حيث جاء فيها: "وأطلقنا أيضا سبيل التجار الذين هم عمارة سائر الأمصار، وكذلك المترددين إلى البلاد، ليسافروا بحسب اختيارهم تطمينا للعباد، آمنين على أنفسهم من حوادث الفساد. وحرمنا على القراول \*\*\*\*\* والشحاني \*\*\*\*\* في الأطراف التعرض بهم في مصادرهم، وأن يمشوا حيث شاءوا على أحسن ما كانت عاداتهم من قواعدهم.. "أو بعبارة أخرى فإنه كان يدرك ما للتجارة من أهمية في حياة الشعوب، فشجع التجار على القيام بعمليات التبادل التجاري وجلب السلع التي تحتاجها البلاد، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم، وأمن الطرق

التجارية من قطاع الطرق، وكلف فرقاً خاصة بالقيام على تمهيدها وحراستها داخلها وفي مناطق الحدود<sup>(٩٦)</sup>. وهم الذين عرفوا باسم القراول والشحاني.

هناك إشارة أخرى بأنه قام بتعويض الأضرار والخسائر التي تسبب فيها أخوه أباقا (أبغا) تجاه المسلمين إلى حد ما، فرد الجزء الأكبر من الأراضي التي تمت مصادرتها، وأعاد بناء المساجد والمدارس، ويسر زيارة الأراضي المقدسة الإسلامية، وخصص جزءاً من دخل الأوقاف للكعبة، والذي كان يمنح حتى ذلك الوقت للأطباء المسيحيين واليهود المشرفين على الأوقاف الإسلامية<sup>(٩٧)</sup>.

على الصعيد الخارجي، كان تكودار أول حاكم مغولي يأخذ المبادرة لإزالة العداوة والبغضاء المتأصلة بين مغول إيران وسلاطين المماليك في مصر والشام والحجاز. فنتيجة لإسلامه رأى أن ينتهج سياسة جديدة تقوم على السلم والوفاء، ونبذ الحرب والشقاق، والعمل على إزالة سوء التفاهم بين المغول في إيران من جهة، والمماليك في مصر والشام والحجاز من جهة أخرى، ذلك أن المماليك كانوا يدافعون عن الإسلام خير دفاع ضد المغول الوثنيين، فرأى السلطان أحمد بعد اعتناقه الإسلام ووصوله إلى العرش، أن هذه أئمن فرصة ينتهزها لكي يخفف من حدة التوتر بين الدولتين، ويعمل على توطيد العلاقات وإحكام الروابط بينهما، فكان أن أرسل في تاريخ جمادى الأولى سنة ٦٨١هـ / أغسطس ١٢٨٢م إلى السلطان المنصور سيف الدين قلاوون في القاهرة، وفدا يضم الشيخ كمال الدين عبد الرحمن الرافعي أحد مشايخ الإسلام، والعلامة قطب الدين الشيرازي (ت ٧٠١هـ / ١٣٠١م) قاضي مدينة سيواس، وبهاء الدين أتابك مسعود صاحب الروم برسالة. تلك الرسالة وإن جاءت في المصادر بصيغ مختلفة، إلا أن مضمونها واحد، حيث يبلغ فيها سيف الدين قلاوون نبأ إسلامه، ويشرح له فيها أهدافه الإسلامية، ويطلعه على جهوده في سبيل إحياء الشريعة

الإسلامية، ويظهر له رغبته في أن يظل في سلام ومودة مع جيرانه المسلمين، وتصميمه على ترك الخصومات القديمة، وإنهاء حالة الحرب والقتال الدائمة بين المغول والمماليك. وقد تم استقبال قلاوون لهؤلاء السفراء بعد أخذ الاحتياطات اللازمة، والإطلاع على ما يحملونه من رسائل، والاستماع إلى مشافهتهم - أي الكلام الشفوي أو الشفاهي - الذي حملهم إياه مرسلهم. ثم رد قلاوون على تكودار برسالة مؤرخة أول رمضان من السنة نفسها الموافق للثالث من ديسمبر ١٢٨٣م، رحب فيها بدخول تكودار في الإسلام، وعد ذلك من الخير والسعادة، وأثنى على الجهود التي يبذلها في تطبيق الشريعة، كما أعلن عن استعداده للتعاون معه على خدمة الإسلام والمسلمين، وعلى تيسير سبل التجارة وحماية التجار، كما رحب بالصدقة والتحالف ضد العدو المشترك للمسلمين وهم الفرنج في بلاد الشام. إلا أنه اشترط على السفراء أن يحضر الشيخ عبد الرحمن الرافعي شيخ السلطان أحمد تكودار للاستماع إلى مشافهته في أمر الصلح لثقة المنصور قلاوون فيه، ولمكانته ونفوذه في دولة مغول إيران. وسافر الوفد من القاهرة ليلبلغ تكودار بما توصلوا إليه، وفعلاً أرسل الشيخ عبد الرحمن في وفد من أتباعه، فوصلوا إلى دمشق ومكثوا بها إلى أن يلقاهم سيف الدين قلاوون الذي كان في طريقه إلى بلاد الشام. لكن لسوء الحظ كانت الأخبار قد وصلت على أيدي جهاز المخابرات المملوكي بقتل تكودار على يد ابن أخيه التائر عليه (أرغون) في ٢٦ جمادي الأولى ٦٨٣هـ / ١٠ أغسطس سنة ١٢٨٤م، ونودي به سلطاناً في اليوم التالي، وعادت العلاقات المغولية المملوكية إلى ما كانت عليه من قبل<sup>(٩٨)</sup>. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل أخذ المماليك يتطلعون في عهد السلطان الملك الأشرف خليل بن قلاوون (٦٩٠-٦٩١هـ/١٢٨٩-١٢٩٠م) إلى إجلاء المغول عن العراق، وضم هذا القطر إلى مصر، ويتضح ذلك من الخطبة التي ألقاها الخليفة الحاكم بأمر الله\* (ت ٧٠١هـ) في القبة

المنصورية، حيث حرّض فيها على أخذ العراق<sup>(٩٩)</sup>. وبعبارة أخرى إن السياسة الخارجية للسلطان أحمد تكودار قد فشلت والسبب في ذلك إنما يرجع إلى الحالة الداخلية لبلادها، وما اكتتفها من أحداث عجلت بالقضاء عليه، وانتهاء حكمه الذي لم يدم أكثر من عامين. كما أغلق باب الحوار مع المماليك إلى حين<sup>(١٠٠)</sup>.

وهكذا يمكن القول: أن أحمد تكودار كان يسعى إلى التقارب مع المماليك، وإنهاء حالة الحرب بين البلدين ليتفرغ لمشاكله الداخلية، والمتمثلة في تمرد ابن أخيه أرغون، والصراع مع الوثنية، والحد من نفوذ كبار أمراء المغول وتدخلهم في الصراع حول ولاية العهد والوصول إلى العرش، والانتقال بإيلخانية مغول إيران من التبعية لمغول الصين إلى دولة مستقلة، لها كيائها الخاص بها، وسياستها الخاصة. وشاءت القدرة الإلهية أن لا يتم هذا العمل إلا في عهد غازان بن أرغون خان أما خلفه أحمد تكودار في خانية إيران المغولية فهو أرغون الذي سوف نعالج فترته في الفقرة التالية، والذي سوف يعود بالوثنية إلى إيلخانية إيران، بعد أن كان أحمد تكودار كاد أن يخرجها من الوثنية إلى الإسلام.

### من هو أرغون ؟

هو ابن آباقا (أبغا) خان بن هولكو خان، وبعد وفاة والده في العشرين من ذي الحجة سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م، كان أرغون يعتبر العرش ميراثه الشرعي، باعتباره أكبر أبناء أبيه<sup>(١٠١)</sup>. وعندما اعتلى عمه تكودار العرش لم يرض عن ذلك، باعتباره أنه أحق منه بهذا المنصب، لأن أباه (آباقا) نفسه، عندما كان على قيد الحياة، والمؤيدين لسياسته من الأمراء، كانوا يرون أن أرغون هو الوريث الشرعي لأبيه، وأحق الناس بمنصب الإيلخانية، وكان أبوه يعدّه الإعداد اللازم ليخلفه في زعامة مغول إيران من ذلك على سبيل المثال أنه كلفه بقيادة فرقة من الجيش لمحاربة طائفة من المغول اشتهرت بالنكودريين نسبة إلى (نكودر) أحد

أحفاد جغتاي بن جنكيز خان، والذين كانوا يعيشون في الأراضي التي تسمى أفغانستان حالياً، والذين ظلوا طوال المدة من سنة ٦٥٩ إلى سنة ٦٨٩هـ/١٢٦١-١٢٨٩م يغيرون كل عام على مناطق خراسان وكرمان\* وفارس. فسار إليهم أرغون حتى بلغ سجستان مقر هذه الطائفة، وحاصر المدينة واستطاع التغلب على الثائرين، كذلك قصد مدينة هراة وأخضع من بها منهم حتى قدموا له فروض الطاعة. كما اعتمد أبوه عليه في قيادة الجيش الذي توجه إلى منطقة الحدود مع بلاد القبيلة الذهبية (قوم قايدو)، وهناك ظل أرغون يعسكر بجيشه، وكون عدة حاميات لكثير من المدن والبلدان المجاورة، واصطدم بالجيش الذي حشده (قايدو) تحت قيادة أخ له يدعى (براق). وألحق أرغون بهذا الجيش خسائر فادحة<sup>(١٠٢)</sup>. كان أرغون من فرسان المغول المعدودين ذكر ابن تغرى بردي نقلا عن شاهد عيان<sup>(١٠٣)</sup>. "أنه شاهد أرغون بن أبغا المذكور وقد صُفِّت له ثلاثة أفراس فوقف عند أولها راجلا وطفرف في الهواء فركب الثالث منها ، ولم يتعلق بشيء منها.." و"حكي عنه أيضا أنهم كانوا يصفون له سبعة رؤس خيل ويقول لهم: أيهم تريدون أركب ؟ فيعينون له واحدة، فيقفز من الأرض على ظهرها، ولو كانت آخر السبعة" ولأن المغول كانوا يقدسون الفروسية، وما يشتهر به الفارس من شجاعة وبسالة وإقدام وجرأة وشدة احتمال، وغطرسة وعناد وكبرياء ومكر وخديعة، لذا لقي أرغون تأييدا من قبل عدد لا بأس به من أمرائهم، وهو ما يزال أميراً لم يجلس على العرش بعد، وعظم في أعين المغول. وذلك لما للفروسية عند المغول من مركز ممتاز. وقد كانوا على اختلاف أعمارهم يقضون حياتهم على ظهر الحصان ولا يكادون ينقلون قدما على الأرض<sup>(١٠٤)</sup>. ويقول عنه صاحب (المنهل الصافي) إنه كان: "يتدين بعبادة الأصنام والسحر، ويعظم طريقتهم خصوصا الطائفة المنتسبة إلى براهنة الهند، وكان يجلس في السنة أربعين يوما في خلوة، يتحنث فيها ويتجنب أكل اللحوم،

فورد عليه شخص من الهند وأوحى إليه أنه يتخذ معجوناً من دأوم تتأوله طالت حياته، فأكله فأوجب له انحرافاً وصرعاً، فمات منه" <sup>(١٠٥)</sup>. و بعبارة أخرى أنه كان يثق ثقة مطلقة في الكيمياء والنجوم والسحر والشعوذة مثل أغلب سلاطين المغول، ولهذا ارتفعت منزلة الكهنة البوذيين واللامات في بلاطه، وقد صنع أحد هؤلاء معجوناً مركباً من الزئبق والكبريت والمواد الأخرى، وأعطى أرغون هذا الدواء من أجل إطالة عمره، فتسبب هذا الدواء في اشتداد المرض عليه، وإصابته بالفالج "الشلل"، وأدى في النهاية إلى وفاته. وكان ذلك في السادس من شهر ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م <sup>(١٠٦)</sup>. ويذكر بعض المؤرخين أن أرغون كان قد اعتنق الإسلام وهو ما يزال أميراً، إلا أنه عدل عنه ، وأحب دين البراهمة من عبدة الأصنام، والاعتقاد في السحر والرياضة والكيمياء، ووفد عليه بعض سحرة الهند، وركبوا له دواء لحفظ صحته وإطالة عمره، فأصابه منه صرع فمات <sup>(١٠٧)</sup>.

في الواقع أن عهد أرغون يمثل آخر العهود التي لقي فيها الوثنيون والمسيحيون من حظ وحسن معاملة، وكانت أيامه امتداداً لأيام والده آباقخان وجده هولأكو خان فيما يتعلق بعلاقته بالوثنيين حيث كان بوذياً متعصباً لبوذيته، وبسبب زوجته المسيحية أوروك خاتون النسطورية نال المسيحيون بوجه عام، والنساطرة بوجه خاص رعايته، واستغل الآخرون الفرصة، وأقاموا كنيسة بجوار خيمته بحجة انتظام مراسم الدعاء له. كما كان يعتقد اعتقاداً راسخاً في كهنة المغول وأساليبهم، وكان دائماً يرعى تلك الطائفة ويعمل على تقويتها. وفي فترة تحنثه التي كان يعتكف فيها كان لا يدخل عليه إلا الكهنة الذين كانوا يلزمونه ليل نهار، ويتباحثون معه في المعتقدات <sup>(١٠٨)</sup>. وقد اضطهد أرغون المسلمين في بلاده، وصرفهم عن جميع المناصب، التي كانوا يشغلونها في القضاء والمالية، كما حرم عليهم الظهور في بلاطه، ولم يكن ذلك عن كراهية



دينية للإسلام لأن الدين بالنسبة له - كما سبق أن أشرنا - يأتي في المرتبة الثانية، بل عن كراهية سياسية، ذلك أنه لم يستطع أن ينسى ما حل بجيوش جده هولاكو خان من دمار في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، وما نجم عن ذلك من طرد المغول من بلاد الشام على أيدي القوات المملوكية الإسلامية المدافعة عن الإسلام والمسلمين<sup>(١٠٩)</sup>. تلك الكراهية زاد من حدتها ما حققه المماليك من انتصار ساحق على جيش والده آباقا في حمص سنة ٦٨٠هـ/١٢٨١م والذي فقد من جيشه في أثناء الفرار أمام قوات المماليك أكثر مما خسر في المعركة نفسها، وإن تلك المعركة التي ضاع فيها زهرة شباب المغول كانت السبب في موت والده غما وكمدا بعدها بأيام. أضف إلى ذلك ما كان يتردد عن اعتزام المماليك طرد المغول من العراق وضمها لسلطنتهم، وربما أحس مثلاً أحس والده من قبل بخطورة سلطنة المماليك الإسلامية، فكان حريصاً مثله على قيام تحالف مع الملوك والأباطرة والبابوية في الغرب الأوروبي<sup>(١١٠)</sup>. لتدعيم مركز الفرنج في بلاد الشام، ليقفوا حجر عثرة أمام المماليك الذين كان ضمن أهدافهم طرد المغول من العراق وربما من إيران<sup>(١١١)</sup>. وعلى هذا الأساس كان يعطف على المسيحيين.

وعلى الرغم من العداء الشديد الذي كان يكنه أرغون للمسلمين، إلا أن الحيدة والموضوعية والنزاهة التي لا شك فيها، تظهر في أجل صورها فيما أطلقه المؤرخون المسلمون المعاصرون على أرغون من أوصاف، وقد سبق أن رأينا بعضهم وهم يصفون أرغون بالفروسية والإقدام والشجاعة، مع أن مؤرخينا هؤلاء ما كانوا لينسوا ما حل بأوطانهم من مذابح، وتقتيل وتشريد، وضياح عروش على أيدي حكام المغول، كذلك ما كانوا لينسوا أو يتناسوا أن أرغون كان بوذياً، مخلصاً كل الإخلاص لديانته البوذية، ومعادياً للإسلام أكثر من أي إيلخان آخر<sup>(١١٢)</sup>.

ومع هذا فقد وصفه بيبيرس الدواداري (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) بأنه كان قائداً حربياً محنكاً، ذا خبرة بقتال أعدائه، وله مكر ودهاء في ذلك، يجيد المراوغة وانتهاز الفرص، وأنه كان يجيد فن الدعاية المضادة حسب مصطلح عصرنا، وأنه استغل هذا الفن في "تشويش خواطر المغول" على عمه أحمد تكودار لأسباب منها: إساءته إلى أكابر المغول، وإلزامهم بالدخول في الإسلام طوعاً أو كرهاً، ومنها وثوبه على أخيه قونغرتاي وقتله<sup>(١١٣)</sup>.

كما يذكر رشيد الدين الهمذاني في حديثه عنه عقب وفاة والده، وترشيح بعض أمراء المغول له لولاية العهد ضاربين بالإياسا التي وضعها جنكيز خان عرض الحائط، أن ذلك راجع إلى تميزه على الجميع بالعقل والرأي فالملك جدير به ومناسب لشخصه<sup>(١١٤)</sup>.

ويقول عنه الحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) في حديثه عن سنة ٦٩٠هـ / ١٢٩١م، وهي السنة التي توفي فيها أرغون: "توفي أرغون صاحب العراق وخراسان وأذربيجان. كان شهماً مقدماً كافر النفس شديد البأس. سفاكاً للدماء عظيم الجبروت. ويقال أنه سم فاتهمت المغول وزيره سعد الدولة بقتله فمالوا على اليهود قتلاً ونهباً وسبياً". ويقول عنه الحسن بن حبيب أنه كان شجاعاً مقدماً، شديد السطوة، حسن الصورة<sup>(١١٥)</sup>.

### تمرده على عمه تكودار

واضح أن والده أباقاخان توفي وأرغون في سن الثالثة والعشرين من عمره، وكان قد أخذ يعده للمهمة الخطيرة التي كان عليه أن يضطلع بها في مستقبل حياته، فنصبه والياً من قبله على إقليم خراسان الذي كان يعد أهم الثغور في دولة المغول في إيران، فظهرت قدرته في إدارة تلك المناطق، وصار يبذل الجهود الجبارة في إحكام شؤون الجيش والإدارة<sup>(١١٦)</sup>.

وما إن تولى تكودار عرش الإيلخانية في ٢٦ من المحرم سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م، بناء على إجماع الأمراء على توليته، واستنادا على ما تنص عليه إلياسا الجنكيزية باعتباره أكبر الأمراء من أولاد هولاكو خان، حتى بدأ أرغون يتحرش بعمه، وأرسل أرغون يطلب منه إرسال الوزير شمس الدين عطا ملك الجويني ليحاسبه على أموال أبيه، باعتباره كان وزيرا لأبيه، وبحجة أنه لم يدفع تلك الأموال للخزانة، ويذكر تكودار بالشائعات التي تنسب إلى الوزير بأنه المسئول عن دس السم لأبيه. وهنا أدرك تكودار أن أرغون يريد قتل وزيره، فرفض إرساله إليه بحجة أن في ذلك تعطيلا لأمر البلاد الإدارية والمالية. كذلك أرسل أرغون إلى عمه يطلب منه ضم العراق وفارس إلى خراسان، حتى تكون له مملكة تكفيه معاش جنوده ومؤنه بالإضافة إلى الري\* وقزوين\*\* التي كانتا تحت حكمه. كما انتهز أرغون فرصة اتصال عمه بصاحب مصر ليؤلب عليه الأمراء الناقمين عليه إسلامه من جهة، والرافضين للتصالح مع سلطنة المماليك لما في ذلك من قضاء على مصالحهم وطموحاتهم من جهة أخرى<sup>(١١٧)</sup>.

ولما لم تلق طلباته هذه أي استجابة من عمه، أعلن عليه الثورة وخرج من خراسان لقتاله، فجرد إليه عمه جيشا بقيادة زوج ابنته وقائد جيوشه العام (الناق أو أليناق) واستطاع أرغون أن يلحق بهذا الجيش هزيمة ساحقة ويقتل بعض أفرادهم. وبلغ الخبر إلى تكودار فركب في أربعين ألفا وسار لقصد أرغون ابن أخيه والتقى بالقرب من خراسان، فكانت الكسرة على أرغون، فأخذته تكودار أسيرا. وعاد طالبا تبريز فحضرت زوجة أرغون ووالدته، وكثير من الأميرات المغوليات اللاتي لهن حق الدخول على السلطان، وسألن العفو عن أرغون وإطلاق سبيله، والاقتصار به على خراسان كما كان فما أجابهم إلى ذلك، وكان

قد أمسك من أكابر أمراء المغول اثني عشر أميراً وقيدهم وأهانهم فتغيرت خواطر الأمراء عليه وعزموا على قتله<sup>(١١٨)</sup>.

وفي الحقيقة كان تحول السلطان تكودار إلى الإسلام باعثاً لعدد من عظماء المغول وأشرفهم على الهرب إلى حيث يقيم الأمير أرغون، الذي كان من جهته يؤكد تمسكه بالديانة البوذية حتى يستفيد سياسياً، ويضم إلى صفه أكبر عدد ممكن من المغول. كذلك لم تقف جهود السلطان تكودار عند حد اعتناقه الإسلام، بل حاول جاهداً نشر هذا الدين بين طوائف المغول، وتحويل معابد الأصنام إلى مساجد، وكان يحترم القضاة، ويجل العلماء المسلمين، فكان هذا السلوك من جانب الإيلخان سبباً آخر في نقمة المغول عليه، ومدعاة إلى إثارتهم وانزعاجهم، فشكوه إلى الخان الأعظم قوبيلاي (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) الذي كان يعده الإيلخانيون - منذ عهد أبيهم هولاقو - رئيسهم وكبيرهم<sup>(١١٩)</sup>.

والأخطر من هذا كله أن أخا السلطان تكودار المدعو قونغرتاي "قونغرتاي" كان متعاوناً مع أرغون، وأن جماعة من أتباع السلطان تكودار اتفقوا مع قونغرتاي على اعتقال الإيلخان والقضاء عليه. وأغلب الظن أن قونغرتاي كان يريد استغلال الوضع الصعب الذي فيه تكودار كي يحقق أغراضه، ويستولي على الحكم لنفسه، ولكنه لم يوفق في هذا السبيل لعلم تكودار بمؤامراته في الوقت المناسب، فقبض عليه وعلى أتباعه ودق أعناقهم على الفور، وعادة ما كان يتم ذلك بكسر العمود الفقري، ذلك لأن إلياسا الجنكيزية تحرم إراقة دماء الأمراء الذين تجري في عروقهم الدماء المغولية<sup>(١٢٠)</sup>. وتصل المؤامرة إلى أبعد مدى لها من قبل بعض رجال تكودار، ويتم فك أسر أرغون، كما يتم التخلص من قائد جيوش تكودار (أليناق) بالقتل، والقبض على تكودار، وحمله إلى أولاد أخيه قونغرتاي للأخذ بثأر أبيهم فقبضوا عليه بالأسلوب نفسه المتبع في معاملة

الأمراء المغول في ليلة الخميس ٢٦ من جمادى لأولى سنة ٦٨٣هـ/ ١٠ أغسطس ١٢٨٤م<sup>(١٢١)</sup>.

### حكم أرغون خان (٦٨٣-٦٩٠هـ/ ١٢٨٤-١٢٩١م)

أرغون خان بن آباقا خان بن هولاكو هو رابع حكام مغول إيران استولى على الحكم في أعقاب الإطاحة بعمه وجلس على العرش في يوم الجمعة ٢٧ من جمادى الأولى ٦٨٣هـ ١١ أغسطس ١٢٨٤م أي بعد مقتل عمه بليلة واحدة بناء على إجماع كبار الأمراء المغول في مجلس القوريلتاي<sup>(١٢٢)</sup>. وهو الابن الأكبر لآباقا خان. ويعد أرغون خان أول من ضرب بالياسا الجنكيزية عرض الحائط. ذلك أنه عقب مقتل تكودار كان الأحق بالعرش "هولاجو" بن هولاكو خان، ويعتبر تولي أرغون بداية التحول عن (إلياسا) إلى أن يأتي بعده ابنه غازان خان بن أرغون فيعتنق الإسلام ويتم التحول النهائي لدولة المغول في إيران سياسيا ودينيا وبشكل واضح؛ سياسيا لأنها استقلت نهائيا عن سيطرة الخاقان الأعظم في بيكين في الصين، ودينيا لأن الدين الإسلامي أصبح هو الدين الرسمي للدولة ومصدر التشريع فيها منذ عهد غازان خان (٦٩٤-٧٠٣هـ/ ١٢٩٤-١٣٠٣م) بل إن عهد غازان شهد أكبر تحول سياسي في إيلخانية مغول إيران، وتحولها من دولة مغولية تابعة للصين إلى دولة إسلامية تحاول أن تكون زعيمة العالم الإسلامي، وتنافس دولة سلاطين المماليك التي كانت هي زعيمة العالم الإسلامي والتخلي عن محاولة تكوين تحالفات مع الغرب الأوروبي<sup>(١٢٣)</sup>. وفي هذا يقول المستشرق الفرنسي جروسيه Grousset: "الواقع أن حكم غازان يحدد اللحظة التي تحول فيها هؤلاء البدو (يقصد مغول فارس) البدائيون شيئا إلى الحياة المستقرة في إيران إلا أن هذا الاستقرار لسوء الحظ لم يتم دون أن يكون له مضار، فإنهم عندما خرجوا عن تسامحهم العام إلى

اعتناق دين خاص هو الإسلام.. فإنهم لم يلبثوا أن فقدوا جنسيتهم، وأن فقدوا معها مميزاتهم، وأن تركوا أنفسهم للوسط الذي هضمهم وشربهم وأخفاهم.. " (١٢٤).

### سياسته الداخلية

على الصعيد الداخلي، استهل أرغون خان حكمه بمكافأة من كانوا السبب في وصوله إلى العرش، فسلم زمام الأمور إلى الأمير (بوقا) الذي بفضل حقه آماله، وجعله نائباً عنه في تصريف شؤون البلاد كلها. وزيادة في تكريمه فقد منحه لقب (جنكسانك) أي أمير الأمراء، أو نائب السلطان، ومنحه صلاحيات لا حدود لها بحيث لم يبق لأرغون نفسه سوى سلطة شكلية. إلى جانب أنه قام بتعيين أخى (بوقا) وهو الأمير (أروق) حاكماً على بغداد، كما كرم الأمير هولاجو بن هولاجو أي عمه، وتمكن من إرضاء سائر الأمراء بما أعده عليهم من إقطاعات وهدايا وعطايا (١٢٥). وجعل خواجه فخر الدين المستوفي القزويني مسئولاً عن الشؤون الإدارية والمالية ومساعداً للأمير بوقا، بينما تم تعيين خواجه هارون بن شمس الدين محمد مساعداً للأمير أروق في بغداد (١٢٦). كذلك كلف الأميرين جوشكاب\* بن هولاجو (ت ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م) والأمير بايدو (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) على ديار بكر، ومنح ابنه الأمير (كيخاتو) بن أرغون (٦٩٠-٦٩٤هـ / ١٢٩١-١٢٩٤م) بلاد الروم، ومنح بلاد الكرجستان\*\* لعمه (أجاي)، وولى ابنه غازان على ممالك خراسان، وأرسل بصحبته الأمير (كينشو) لمساعدته. وكلف الأمير نوروز (ت ٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) التابع لابنه غازان بإدارة خراسان (١٢٧). ولتطبيب خواطر المسلمين من أتباع أحمد تكودار، فقد أصدر أرغون مرسوماً بالعفو العام عن جميع المعارضين، وقد جاء في المرسوم "بألا يشق أي مخلوق أتباع أحمد ولا يتعرض لأحد منهم، وأعلنوا أن على الجميع أن يحافظوا على مسلك آبائهم وأجدادهم،

وَألا يضطهد الواحد منهم الآخر، وأن يشتغل الرعايا بالعمارة والزراعة فارغي البال<sup>(١٢٨)</sup>.

وأحسن أرغون إلى والدته عمه أحمد تكودار وهي قوتوي أو قوتي خاتون، وأبقى عليها بلادها التي كانت إقطاعاً لها في عهد ابنها وهي طوبان وميا فارقين<sup>(١٢٩)</sup>. هذا التصرف إن دل على شيء فإنما يدل على إدراك أرغون أن لكل صنف من الرعية صنف من السياسة، فالأفاضل يساسون بمكارم الأخلاق والإرشاد اللطيف، وأن من الخصال التي تستحب في الملك الكرم، وهو الأصل في استمالة القلوب<sup>(١٣٠)</sup>.

وينبغي أن نشير إلى أن أرغون ما إن تولى الحكم المغولي في إيران، وجلس على العرش الإيلخاني، حتى بدأ بمكافأة من كانوا السبب في وصوله إلى العرش، كما حاول إلغاء ما سبق واتخذته عمه أحمد تكودار من إجراءات، والعودة بالدولة إلى سابق عهدها مغولية جنكيزية تحكمها (إلياسا) والعرف المغولي، وربما حاول الاتصال بأمراء المغول الذين أسلموا لكي يثنيهم عن دينهم الجديد، كما اتصل بأمراء المغول الذين لم يسلموا بعد ليقفوا في صفه<sup>(١٣١)</sup>. ذلك لأن أرغون كان يحرص على منع خانبة فارس من الدخول في الإسلام. وكان أرغون بوذياً مثلما كان أبوه آباقا وجده هولاكو، وسلك طريقهما في الانحياز إلى المسيحيين واليهود. وهذا نجاح للوثنية والكفر على الإسلام، حيث خص أصحاب هذه الديانات بالوظائف الأساسية في الإدارة المدنية، ولا سيما ما يتعلق منها بالإدارة المالية. ومن الطبيعي أن يلقي المسيحيون من أرغون العطف والمحبة، إرضاء لزوجته أوروخ خاتون وكانت مسيحية نسطورية، وقد نصرت ابناً لهما في سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م، باسم نيقولا تيمنا باسم البابا نيقولا الرابع Nicholas IV، (٦٨٧-٦٩٢هـ/ ١٢٨٨-١٢٩٢م) وأضحى نيقولا فيما

بعد الخان، أولجايتو ( ٧٠٣-٧١٦هـ / ١٣٠٤-١٣١٦م). وإمعاناً في نصرته الوثنية على الإسلام، فقد أعاد أرغون عمارة الكنائس التي دمرها تكودار ومنها كنيسة مراغة<sup>(١٣٢)</sup>. وهنا تجدر الإشارة إلى أن تأكيد أرغون الدائم على بوذيته، من جهة، وتقريبه وعطفه على المسيحيين من جهة أخرى، كان لهدف سياسي بالدرجة الأولى، فقد سبق أن أشرنا إلى أن حكام المغول الوثنيين بوجه عام لم يكن يعينهم الدين في شيء، وبالنسبة لأرغون خان بوجه خاص، فقد كان دافعه إيجاد جبهة يستند عليها في مواجهة الخطر الإسلامي ممثلاً في غالبية سكان إيران والعراق من جهة، والخطر المملوكي القريب من دولته من جهة أخرى، ذلك الخطر الذي كان يتربص بالمغول الدوائر. وخير من عبر عن هذه الحقيقة هو المستشرق الألماني شبولر عندما قال: "وكانت الأوضاع السياسية في البلاد التابعة للإيلخانيين غير مستقرة، وكان على الحاكم الجديد السعي والاجتهاد للسيطرة على الأوضاع" وفي موضع آخر وهو يتحدث عن أرغون قال: "فكان يسعى للتأكيد على إيمانه واعتناقه البوذية لتحقيق المكاسب السياسية"<sup>(١٣٣)</sup>. أو بعبارة أخرى أنه كان يأمل حسم الصراع الديني لصالح الوثنية التي يمثلها هو والمغول، بإنضمام طائفة المسيحيين من النساطرة والسريان، لمواجهة المد الإسلامي، الذي أخذ ينشط بعد ما تحقق للمسلمين من انتصارات عسكرية سابقة، سواءً على المغول أو على الصليبيين في بلاد الشام، ولم يقف هذا المستشرق عند حد ما ذكره سابقاً بل عبر عن موقفه من الإسلام عندما قال: "وكان تنصيب أرغون على عرش الخانية بمثابة انتصار جديد للبوذية، وبداية عصر جديد لمناهضة الإسلام. وسيطر الكهنة البوذيون على أرغون بشدة. وكان في أخريات أيامه لا يسمح لأحد بزيارته، ولقائه سوى الكهنة البوذيين" وعن تقريب أرغون لرجال الدين الوثنيين فذلك راجع إلى أن رجال الدين عند المغول كانوا كالكهنة عند قدماء المصريين، من طبقة متتورة تعلم الفلك، وتحدد وقوع الخسوف



والكسوف في أوقاتها، وتعين الأوقات الصالحة وغير الصالحة لعمل ما، وإن كان نفوذ أفرادها لا يصل إلى نفوذ الكهنة عند قدماء المصريين، وكان حكام المغول يأخذون رأيهم قبل أن يقدموا على الأعمال المهمة، وكانوا لا يجمعون جيشاً ولا يدخلون حرباً إلا بعد موافقتهم<sup>(١٣٤)</sup>. ولا ينبغي علينا الوثوق في كلام هذا الرجل. حقا لقد كان أرغون بوذياً، إلا أنه لم يتمكن من إلغاء جميع فرمانات سلفه أحمد تكودار، فسمح للمسلمين في شهر رمضان بإقامة شعائهم في أربعة مساجد في تبريز العاصمة. ولولا قوة هؤلاء المسلمين لمنعهم فعلاً، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن عبارة "انتصار جديد" توحى بأن هناك نصراً بوذياً، فأين هو هذا النصر الذي حققته البوذية على الإسلام؟ وفي إيلخانية مغول إيران بوجه خاص، لم يرد في المصادر المعاصرة أن أرغون أجبر المسلمين على ترك دينهم والتحول إلى البوذية، ولو كان في مقدوره لفعل. ثم أين هذا النصر إذ لم تكد تمر أربع سنوات على وفاته إلا واعتنق ابنه الوحيد غازان خان الإسلام، وأصبح الإسلام هو الدين الرسمي لدولة مغول إيران، ومصدر التشريع فيها<sup>(١٣٥)</sup>. لأنه رأى أن تحول الأسرة الحاكمة المغولية إلى الإسلام حتم وضروري للحكم في أرض إسلامية<sup>(١٣٦)</sup>. ومع أن سيطرة المغول كانت شديدة الوطأة على المسلمين، إلا أن سيادتهم لم تتخذ طابع مناهضة الدين الإسلامي، على الرغم من أنهم ليسوا مسلمين<sup>(١٣٧)</sup>.

كما أن الواجب يحتم علينا أن نشير إلى أن بعض المراجع قد رددت بعض المعلومات عن محاولات أرغون خان لتحويل المسلمين إلى عبادة الفرد، عندما أقنعه وزيره اليهودي سعد الدولة (ت ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) بنبوة جنكيز خان وبوراثة أرغون لهذه النبوة، وبوجوب الطاعة لأوامره وعبادة الناس له وتوجيههم نحو الإخلاص للإيلخانية<sup>(١٣٨)</sup>. ولكن من المؤكد أن (أرغون خان) لم يكن يعنيه الدين في شيء سوى تحقيق طموحاته السياسية. ونسوق على ذلك

دليلاً آخر، وهو خطاب لأرغون مؤرخ في ١٤ مايو ١٢٩٠م/٦٨٩هـ إلى البابا نيقولا الرابع Nicholas IV يقول فيه إنه ليس في حاجة إلى اعتناق المسيحية، وإن رعاياه لهم الحق في اختيار الدين الذي يلائمهم (١٣٩).

ومن أعماله الداخلية كذلك، أنه كان السبب في الأزمة المالية الخائقة التي واجهت أخاه (كيخاتو) في بداية حكمه، والذي عمد إلى اتباع ما صنعه الصينيون قبله، وهو وضع عملة ورقية. فقد أمر بطبع عملة مالية ورقية من عدة فئات، مكتوبة باللغات الصينية والفارسية والمغولية، ووضعها في التداول المحلي بشكل قانوني إجباري، ولكن الشعب في إيران رفض استعمال هذه العملة الورقية غير المألوفة، وهكذا أخلت الأسواق، واختفت المؤن من المدن، وأصبح الريف مبتلى بغارات اللصوص وقطاع الطرق بأعداد كبيرة، وقد توقفت الحياة العادية تماماً مما سبب إلغاء هذه التدابير بعد ستة أشهر (١٤٠).

وعلى المستوى الداخلي كذلك، أصدر أرغون خان عدة فرمانات لإشاعة الاستقرار. وفي ذلك الوقت أراد شمس الدين الجويني الوزير السابق في عهد تكودار والذي كان قد هرب إلى جاجرم\* قبيل اغتيال أحمد تكودار ومنها إلى أصفهان - أراد أن يذهب إلى الهند عن طريق مضيق هرمز، ولكنه عندما سمع بقرار العفو ذهب إلى أرغون وطلب العفو منه. والتحق الجويني في العاشر من رجب سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م بمعسكر أرغون. وعيّن من طرف الخان وبدعم من بوقا نائباً له ، ولكن الود لم يستمر بين الجويني وبوقا كثيراً، وبعد مؤامرة دبرت له تمت محاكمته بجريمة الاختلاس؛ وقتل في الرابع من شعبان من العام نفسه بأمر من أرغون، ثم تم قتل أولاده، وحدث خلل في الشؤون الإدارية والمالية بعد مقتل الجويني (١٤١).

أما الأمير بوقا فقد ارتفع شأنه، واستمرت وزارته ثلاث سنوات. ووفقا لفرمانات أرغون، فقد تم إعفاؤه من الاستجواب والمحاكمة، وصار طليقا في الأمور كافة بحيث لا تتم مساءلته إلا من قبل أرغون نفسه، كما أن الأحكام لا تعد رسمية إلا بعد وضع ختمه الأحمر اللون عليها. وصار على الجميع إطاعة أوامره، حتى وإن لم يصدق عليها الخان<sup>(١٤٢)</sup>. وقد عظم أمره وارتفعت منزلته حتى أن أبناء الملوك والملكات والأميرات والقواد كانوا يختلقون إليه، ويقفون على باب داره يطلبون أرزاقهم ومعاشهم. وأقام بوقا أخاه آروق حاكما مطلقا في بغداد وأذربيجان، كما أخذ يصرح لبعض الأمراء بأنه كان السبب في عزل أحمد تكودار وتولية أرغون، وأن أرغون لم يكافئه مكافأة حسنة، وشكاه الحاقدون وألصقوا به كثيرا من التهم، فتم القبض عليه بأمر من أرغون وقتله، ثم توجه جيش إلى الموصل للقبض على أخيه آروق، وجرى قتله أيضا ولم يكن قد مر أسبوع على مقتل بوقا وكان ذلك في أواخر عام ٦٨٧هـ / ١٢٨٩م<sup>(١٤٣)</sup>.

والواقع أن أرغون خان كان محبا للمال كبقية إيلخانات مغول إيران، فجعل الطبيب اليهودي سعد الدولة وزيرا للمالية وكبيرا لمستشاريه، وقد ظل سعد الدولة منذ عام ٦٨٦هـ / ١٢٨٨م حتى الأيام الأخيرة لحكم أرغون (٦٩٠هـ / ١٢٩١م) موضع ثقته. وقد اشتهر سعد الدولة بالذكاء والمكر، والمرونة، وطلاقة الحديث باللغتين التركية والمغولية، ودرايته بحياة البلاد، مما جعله يقف على كل ما يرضي أرغون، الذي قدر له إخلاصه في خدمة الدولة. وبفضل مهارته الإدارية أصلح الشؤون المالية، فمنع ما لجأ إليه السادة الإقطاعيون المغول من النهب وابتزاز الأموال، وحرّم على القادة العسكريين الامتناع عن تنفيذ قرارات المحاكم، وأنكر ما لجأ إليه ممثلو الطبقة الأرستقراطية من إتهال كاهل الشعب بكثرة الطلبات. وفي الجملة حاول أن يقضي على كل العيوب، وأن يحول الحكومة التي غلبت عليها الصفة العسكرية،

إلى إدارة مدنية سليمة. لكي يتجنب إثارة سخط المسلمين، أقر أن يجري النظر في قضاياهم وفقاً للشرعية الإسلامية، وزاد فيما يرصد من الأوقاف على الأعمال الخيرية. ولم ينكر عليه المسلمون إلا ما خص به أهل ملته من اليهود من الوظائف الرئيسية في الإدارة المدنية، ولا سيما ما لجأ إليه من توزيع التزام جباية الأموال على أقاربه؛ وكيفما كان الأمر، فإن هذا الوزير اليهودي كرهه السادة المغول لإقدامه على منع النهب، واتهمه المسلمون بأنه أراد تحويل الكعبة إلى هيكل لعبادة الأوثان، وأنه أقنع أرغون بعبادة الفرد التي سبق وأشرنا إليها في السطور السابقة. وقد ارتقى سعد الدولة في عهد أرغون أعظم الرتب وأصبحت الشؤون السياسية في يده وحده. وأنه تعالى على الأمراء وأخذ يستحقرهم، وتقاطر إليه اليهود من جميع الأقطار، ثم مرض أرغون بمرض الفالج "الشلل" زهاء شهر، وحاول هذا اليهودي معالجته، لكنه توفي في يوم الأربعاء سلخ كانون الثاني ١٢٩١م، وبطش التتر بسعد الدولة وقبضوا على إخوته وقتلوه. وعلى إثر مقتله ثار المسلمون على اليهود في بغداد وتسלحوا وقصدوا محلّتهم المجاورة لمحلة المسلمين، واشتبكوا معهم، وقتل من الطرفين خلق كثير، وقد استغرق حكمه زهاء سنتين، ثم قتل وضمحل ذكره (١٤٤).

### سياسته الخارجية

اقتفى أرغون خان أثر والده آباقا خان في سياسته الخارجية الرامية إلى التحالف مع الغرب الأوروبي، فبعد أقل من عام من توليه عرش الإيلخانية وجه إلى أمراء الغرب الدعوة إثر الدعوة للقيام بحملة صليبية، واعدًا إياهم بتقديم جيوش ومؤون وذلك لمحاربة عدوهم الأكبر، المتمثل في سلطنة المماليك في مصر والشام والحجاز، ولم يفت على السفراء المكلفين من قبله بحمل الرسائل إلى الغرب، وهم مسيحيون في الغالب، أن يلمحوا بأن مرسلهم قد تحول تحولا

نصفيا أو بالكامل إلى العقيدة المسيحية. سواء كان ذلك مثبتا أو غير مثبت في التعليمات التي تم تزويدهم بها. والواقع أنه لم يكن هناك شيء من هذا، غير أن هذا التلميح كان له أثر طيب، وكان السفراء يطلبون من البابا إفاد مبشرين لهداية شعب التتار إلى المسيحية<sup>(١٤٥)</sup>.

وتعددت السفارات التي أرسلها أرغون خان إلى ملوك أوروبا وبابواتها ، ونظرا لأن العديد من المؤلفات قد تناولت هذه السفارات بالتفصيل ، وأجريت حولها بعض الأبحاث<sup>(١٤٦)</sup> فإننا سنكتفى هنا بالإشارة إليها. ويهمننا أن نشير إلى أن الخان المغولي أرغون كان هو صاحب المبادرة في طلب التحالف ضد المماليك، انتقاما من هزيمة والده آباقا في موقعة حمص. أما الغرب الأوروبي فقد كان أيضا في حاجة ماسة للتعاون العسكري مع المغول لأن قوات المماليك كانت تسقط عاما بعد آخر، واحدا من مواقع الفرنج الصليبيين الهامة في بلاد الشام، في الوقت الذي انشغل فيه الغرب عن الصليبيين بحروبه الإقليمية ومشاكله الداخلية والدينية. أما هذه السفارات فهي :

### سفارة عام ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م

وهي أول سفارة لأرغون للغرب الأوروبي ، فور اعتلائه العرش والتخلص من عمه تكودار ومؤيديه. وهذه هي السفارة الوحيدة التي لا نعرف عنها تفصيلات سوى خطاب وحيد تم العثور عليه في أرشيفات الفاتيكان من أرغون إلى البابا هونوريوس الرابع Honorius IV (٦٨٤هـ / ١٢٨٥م) مؤرخ في ١٥ مايو ١٢٨٥م ، وقام الباحث الفرنسي شابوت Chabot بنشر الأصل اللاتيني لهذا الخطاب مع بقية الخطابات التي تم تبادلها بين أرغون والغرب الأوروبي. وفي هذا الخطاب يشير أرغون إلى رغبته في تقديم العون للأراضي المقدسة في فلسطين ، ويعرض على البابوية أن تقوم جيوشه بالإغارة على بلاد الشام، وأن

تقوم قوات الفرنجة بمهاجمة مصر في الوقت نفسه لتحطيم قوات المسلمين في الشام ومصر، وحتى يكون هناك سيدان فقط هما الخان قوبيلاي والبابا. ومن الواضح أن البابا لم يكتب رداً على رسالة أرغون لانشغال أوروبا بمشاكلها الداخلية<sup>(١٤٧)</sup>.

### سفارة رابان صوما Rabban - Sauna (٦٨٦هـ/١٢٨٧-١٢٨٨م)

رابان صوما Rabban Sauna (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) هو أحد كبار رجال الكنيسة النسطورية في إيلخانية إيران، وبنم اختيار أرغون له عن رغبته في كسب ثقة الأوروبيين. وعندما وصل صوما Sauna إلى روما كان البابا هونوريوس الرابع Honorius IV قد توفي، وكان الكرسي البابوي ما يزال شاغراً؛ فتوجه صوما Sauna ورفاقه لمقابلة ملك فرنسا فيليب الرابع Philippe IV (٦٨٤-٧١٤هـ/١٢٨٥-١٣١٤م) وملك إنجلترا إدوارد الأول Eduard I (٦٧٢-٧٠٧هـ/١٣٧٣-١٣٠٧م) وتسليمهما خطابات أرغون. وقد عرج صوما Sauna على مدينة جنوة في إيطاليا، حيث استقبله أميرها وأهل المدينة بحفاوة بالغة، لأن تجار جنوة كانت لهم اليد الطولى في إيلخانية إيران، ومنهم اختار أرغون بعض مستشاريه وسفرائه<sup>(١٤٨)</sup>. ويتضح من فحص رسائل أرغون التي حملها صوما Sauma أن أرغون يطلب مساعدة الغرب له ضد المماليك. أما رد البابا الجديد وهو نيقولا الرابع Nicholas IV (٦٨٧-٦٩٢هـ/١٢٨٨-١٢٩٢م) فإن كل ما كان يهيمه هو تنصير أرغون خان والشعب المغولي، وبالنسبة لملكي فرنسا وإنجلترا، فإن ردودهما لم تحمل سوى طابع المجاملة والود مع الترحيب بالمشاركة في الحملة الصليبية الخامسة، وإن لم يوضحا متى ستكون تلك المشاركة<sup>(١٤٩)</sup>.

**سفارة بوسكاريل جيزوف Buscarel Gisolf (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)**

انتهر أرغون خان فرصة سقوط مدينة طرابلس، التي كانت تحت سيطرة الفرنج في بلاد الشام عام ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م ليرسل سفارة ثالثة إلى الغرب الأوروبي، على رأسها بوسكاريل التاجر الجنوبي، والذي يجيد اللغة المغولية إلى فيليب الرابع Philippe IV ملك فرنسا، حاملا رسالة باللغة المغولية، وقد ترجمت هذه الرسالة في بداية القرن التاسع عشر للميلاد إلى اللغة الفرنسية، وكان ملحقا بها رسالة أخرى من بوسكاريل Buscarel أخبر فيها فيليب الرابع بأن أرغون مستعد لإرسال ما بين عشرين وثلاثين ألفا من الخيول أو ما يعادل قيمتها كهدية إلى فيليب Bphilippe. وأنه سوف يتحرك إلى دمشق ويقومان سويا بالقضاء على المماليك وتسليمه القدس (١٥٠).

**سفارة أندرو زاجان Andrew Zagan وساهادين Sahadin (٦٨٩هـ/١٢٩٠م)**

أرسل الخان المغولي أرغون سفارة جديدة إلى الغرب الأوروبي، وترأسها اثنان من المسيحيين المغول أندرو زاجان Zagan Sahadin وساهادين Sahadin وقد وصلا إلى روما في آخر عام ٦٨٩هـ / ١٢٩٠م، والتقيا بالبابا نيقولا الرابع Nicholas IV ، وفيها يعلن أرغون أنه سيحرك قواته في يناير ١٢٩١ حتى يتمكن من الوصول إلى دمشق في ٢٠ فبراير ١٢٩١م، وذلك بشرط وجود القوات الأوروبية في مصر والشام في ذلك الوقت لمباغطة العدو المشترك من الخلف، حتى لا تحدث كارثة للجيش المغولي. إلا أن المماليك بقيادة الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩-٦٩٣هـ / ١٢٩٠-١٢٩٣م) سرعان ما استولوا على عكا ٦٩٠هـ / ١٢٩١م وتم طرد البقايا الفرنجية (الصليبية) من بلاد الشام، والقضاء على آخر الحكومات المسيحية في بلاد الشام ، كما أن أرغون نفسه لم يعيش بعدها إذ توفي في أول مارس من ذلك العام. وهكذا فشلت سياسة أرغون

خان الخارجية في قيام تحالف مع الغرب الأوروبي للقيام بهجوم مشترك ضد سلطنة المماليك، وما كان سيترتب على ذلك الهجوم المشترك من أن يقتسم الجانبان أملاك المماليك بالشام، فيستأثر المغول بحلب ودمشق، ويكون بيت المقدس من نصيب الصليبيين<sup>(١٥١)</sup>. وكان لتلك السياسة أسوأ الأثر في مصر، فعادت العلاقات بين دولتي المماليك والمغول في إيران إلى سيرتها الأولى. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ المماليك يتطلعون في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون إلى إجلاء المغول عن العراق، وضمه إلى مصر. كما ظل التشاور بين المغول وأوروبا حتى عهد غازان خان (٦٩٤هـ/٧٠٣هـ-١٢٩٥-١٣٠٤م) ولكن هذا التشاور لم يتعد الخطابات والبعثات<sup>(١٥٢)</sup>.

ويشير أحد الباحثين إلى أن أرغون خان لم يكتف بمحاولة التحالف مع الغرب الأوروبي لضرب سلطنة المماليك، بل إنه حاول فعلاً ضرب مواردها الاقتصادية، عن طريق محاولة حرمانها من أهم مصدر من مصادر دخلها، وهو تجارة الشرق الأقصى، واستعان ببعض الجنوبيين في تنفيذ هذا المشروع، عن طريق إغلاق طريق باب المندب في وجه التجارة القادمة إلى سلطنة المماليك في مصر والشام والحجاز. وبفضل مساعدة أرغون خان فإن هؤلاء الجنوبية قاموا بإعداد سفينتين في بغداد، وكانوا يودون تسيير هذه السفن في نهر دجلة، ومنه تسيير إلى المحيط الهندي عبر الخليج. ولكن هذا المشروع لم يستكمل بسبب الخلافات التي قامت بين هؤلاء الجنوبيين<sup>(١٥٣)</sup>.

وفيما يتعلق بعلاقات أرغون الخارجية مع جيرانه الآخرين فقد كانت هادئة بصفة عامة، باستثناء بعض الحالات، ومنها أنه في صفر سنة ٦٨٥هـ/١٢٨٦م أمر بإرسال الجيوش إلى منطقة جبال هكاري في كردستان، إذ أن الأكراد هناك كانوا قد استغلوا حالة الفوضى التي سادت البلاد أثناء تمرده على عمه تكودار



فقطعوا طرق المواصلات، ونهبوا القوافل التجارية، فلما سارت هذه القوات، التحموا بالمتمردين وأقروا الأمن والنظام. وفي ١٥ من المحرم سنة ٦٨٧هـ/١٢٨٨م قدم الرسل من خراسان وأخبروا أرغون أن ثلاثين ألفاً من الفرسان من جند "قيدو" فيما وراء النهر قد عبروا البنجاب، ونهبوا جهات بلخ\* ومرو\*\* ونواحي شبورغان\*\*\*، وبلغوا خواف\*\*\*\* وسنكان\*\*\*\*\*، فاستعد الإيلخان بجنوده للقائهم، وتمكن من صدهم، كما استطاعوا أن يدفعوا الحملات المتعددة التي قام بها "قايديو"\*\*\*\*\* بعد ذلك على خراسان. وكانت قيادة جنود أرغون في هذه الحروب تسند غالباً إلى الأمير طعاجار<sup>(١٥٤)</sup>.

كذلك تعرضت حدود بلاده الشمالية لغزوة من قبل مغول القبيلة الذهبية بقيادة منكو تيمور بن بايدو، فسير إليه أرغون جيشاً هزم قواته. وبذلك تم النصر لجنود الإيلخان<sup>(١٥٥)</sup>.

### ثقافته

أما عن ثقافة أرغون خان فقد كانت غزيرة ومتشعبة امتدت إلى كثير من أنواع المعارف الإنسانية، وذلك بسبب ما كان يتمتع به من ذكاء نادر وقريحة وقادة، وفي رأينا أنه كان للجو العام الذي نشأ فيه أثر كبير في ذلك؛ فقد ورث عن أبيه أباقاخان وجده هولاكو خان حبهما الشديد للعلم والعلماء<sup>(١٥٦)</sup>. كما كان للبيئة التي قضى فيها أرغون معظم حياته قبل أن يلي العرش، وهي إقليم خراسان أثرها الكبير في توسيع مداركه العقلية ونمو ثقافته، وحبه للعلم وإقباله عليه. هذه البيئة قال عنها القزويني - وهو معاصر لتلك الحقبة: "وهي من أحسن أرض الله، وأعمرها وأكثرها خيراً، وأهلها أحسن الناس صورة، وأكملهم عقلاً وأقومهم طبعاً، وأكثرهم رغبة في الدين والعلم"<sup>(١٥٧)</sup>. وبالطبع فإن هذا يفسر لنا السر في حرص هولاكو خان على جعلها إقليمًا خاصاً بابنه أباقاخان،

ويحرص آباخان على جعلها إقطاعا لابنه أرغون خان ، وكذلك يحرص أرغون على جعلها إقطاعا لابنه غازان خان من بعده <sup>(١٥٨)</sup>. وعلى هذا الأساس أيضا كان أرغون خان ملكا عاقلا له طبع لطيف وخاطر وقاد، وكل من يتحدث معه في مقدمة عقلية أو مسألة نقالية كان يعجب به <sup>(١٥٩)</sup>. ولأنه في الدولة المغولية في إيران لم تلق بعض العلوم ما تستحق من عناية، مثل علوم اللسان كالنحو واللغة والشعر والتاريخ، ولقيت علوم أخرى حظا وافرا، مثل علم الحساب لضبط المملكة وحصر الدخل والخرج، والطب لحفظ الأبدان والأمزجة، والنجوم والفلك لاختيار الأوقات <sup>(١٦٠)</sup>. وغيرها من العلوم الأخرى، لذا فقد كان أرغون خان عظيم الشغف بصناعة الكيمياء والإكسير، فكان المشتغلون بالكيمياء يقصدون حضرته من الأطراف والنواحي، وكانوا يرغبون السلطان في تلك الصناعة. وفي سبيل ذلك كان يصرف الأموال الطائلة، ولا يحاسبهم مطلقا، بل كان يأمر لهم - مرحبا - بنفقات أخرى. "وذاث يوم كان العلماء يبحثون مسألة من المسائل الغامضة بحضور العالم الكبير قطب الدين الشيرازي (ت ٧٠١هـ/ ١٣٠١م)، ثم تفرقوا، فقال أرغون لهذا العالم: "لأنني رجل تركي وأنت رجل عالم ، قد تظن أن هؤلاء يسخرونني ويستغلونني، والحقيقة أنني أردت مرارا أن أصرفهم. ولكن ما دام المؤكد أن لهذا العلم الشريف وجودا، وقد يكون هناك من يعرفه، ولأنني إذا لم أرفع الجهلاء ولا أجهز عليهم بالسيف، فلن يثق بي عالم مطلقا". "وقصارى القول أنه قد صرفت أموال لا حصر لها في التعقيد والتصعيد والتحليل والتركيب والتحقيق، والتقطير والتشميع والتعفين، والتصفية والتحلية والتطرية، ولكن بعد التجارب العديدة والاختبارات الكثيرة زال عن الأبصار نقاب الشبهة وحجاب الريبة، ولم ينتج عن الأكسير سوى الإنكسار وخسارة المحصول <sup>(١٦١)</sup>.

بالإضافة إلى هذا كان أرغون يحب أن يزيد معارفه عن العالم الخارجي، فإذا قدم إلى عاصمته مبعوثون من الخارج، كان يرسل إليهم مباشرة، ويستقبلهم هو بنفسه. وكان يتحدث معهم في شتى الموضوعات التي تتعلق بتاريخ بلادهم ونظم الحكم السائدة فيها<sup>(١٦٢)</sup>.

كما كان أرغون خان محبا للعلماء، يرحب بهم. وفي عهده استقبل أحد كبار علماء عصره وهو (بولاد حينكسانك) الذي كان ملحقا بخدمة الخان الأعظم قوبيلاي، ثم أرسل من قبل هذا العاهل إلى إيران حيث أقام زمنا طويلا. وكان أميرا ذا صفات عالية. وقد وصل إلى بلاط مغول إيران في بداية حكم أرغون خان. ونراه في سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م يبلغ غازان خان حديثا طويلا متزنا عن ماهية السلوك، وقد مات في سنة ٧٠٢هـ في مدينة آران<sup>(١٦٣)</sup>. كذلك يتضح مما يرويه أحد المؤرخين المعاصرين له، أنه هذا حذو أبيه آباخان في كسب ود كثير من العلماء في مختلف المجالات. فقد كان رشيدالدين الهمذاني (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م) المؤرخ الشهير يحترف الطب، ولعل مهارته في هذا العلم، هي التي مهدت له السبيل إلى قصر سلاطين إيران المغول، وأكسبته ودهم. ونحن نعلم منه أنه قضى جزءا من حياته في خدمة آباخان وخلفائه، وأنهم كانوا جميعا يعاملونه بإجلال ملحوظ. ولكن يبدو أنه لم يشغل وظائف هامة قبل عهد غازان لأنه يقول: "وذلك لأنني ألحقت بقصر السلاطين منذ شبابي الغض، وشغلت بدقائق الإدارة"<sup>(١٦٤)</sup>. ولم يكن اهتمام أرغون بالطب قاصرا على رعاية الأطباء وأبحاثهم الطبية فحسب، بل تعدى ذلك إلى الأدوية ذاتها، فكلما سمع عن دواء جديد حرص على جلبه من البلاد الأجنبية وتوفيره في إيران كما أدى تعلقه بالحياة إلى الوقوع في يد بعض الكهنة المغول الذين أوهموه بقدرتهم على إطالة عمره، فاستسلم لهم، وتناول دواء ركبوه له من عدة مساحيق ودهون، فكانت هذه التركيبة هي التي عجلت بنهايته<sup>(١٦٥)</sup>.

ومن ناحية معرفته باللغات، فمن المرجح أنه كان كغيره من حكام مغول إيران وعلى وجه خاص ابنه غازان، يعرف المغولية وهى لغته الأم، وإلى جانبها عرف عدة لغات أخرى ليس فقط لغات الأقوام الذين كان يسيطر عليهم من فارسية وعربية وتركية، بل وربما كذلك اللغة الهندية ولغة كشمير والتبت والصين ، وفي مجال التاريخ ربما كان على علم بتاريخ المغول، ونسب أجداده ونسب رؤساء المغول وقوادهم؛ وأما في مجال الحرف والمهن، فربما كان على علم بالصباغة والحدادة والنجارة والنقش. فقد كان يدرك تمام الإدراك أنه واجب عليه أن يعرف من كل شيء طرفا ، ليصل إلى درجة من الكمال <sup>(١٦٦)</sup>. وهكذا يمكن القول، بعد التعرف على ثقافة أرغون خان التي اقتبس كثيرا منها من وزرائه وحاشيته وزوجته، إنه كان لثقافته الأثر الكبير في التمسك بالوثنية والانتصار لها على حساب ثقافة أحمد تكودار التي كانت متأثرة بالمجتمع الإسلامي بصفة عامة. وعلى هذا يمكن القول بأن ثقافة أرغون أدت إلى انتصار الوثنية على الإسلام في فترة زمنية قصيرة.

### الآثار التي خلفها

كان من أهم الآثار المعمارية التي خلفها أرغون خان في إيران القصران اللذان شيدهما في الجانب الغربي من عاصمته تبريز، في ضاحية "شنب" والتي يسميها العوام من أهل تبريز "شام"، ولكي يعبر عن شغفه بالعمارة والبناء فقد شيد بين القصرين المدينة التي نسبت إليه فعرفت باسم "الأرغونية"، بما امتازت به من عمارات جميلة ذات نقوش جذابة، وسقوف مقرنصة، وشرفات مقوسة، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه من كبار محبي العمارة <sup>(١٦٧)</sup>.

كان أرغون بوذياً، ويعتقد اعتقاداً راسخاً في كهنة المغول، ولكي يظهر رعايته وعنايته بهذه الطائفة ويدعم وجودها، فقد بنى لها معبداً، وتم نقش

صورته على جدران ذلك المعبد، وأوقف عليه عدة أوقاف، إلا أن هذا المعبد تم تدميره في عهد ابنه غازان الذي اعتنق الإسلام، ولأن وجود مثل ذلك المعبد لا يجوز شرعاً في بلد إسلامي<sup>(١٦٨)</sup>.

وفي عهده كانت تبريز العاصمة كأنها مصر بسبب كثرة السكان، وصارت الأرغونية مقر الملك مثل القاهرة. كذلك أقام مدينة في مراعي "قنقور أولانك" في ناحية "شروياز" وأجرى العيون والقنوات، وأنفق عليها أموالاً طائلة ولكن هذه المدينة لم تتم في عهده بسبب قصر عمره، فأتىها السلطان أولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٤-١٣١٦م) في أيام دولته، وسماها السلطانية\*. وفي مصيف "الار" في سفح جبل "دماوند" \*\* شيد أيضاً جوسقا عالياً يعرف الآن بجوسق أرغون، كما أنه أقام في كثير من المواضع القصور المنيفة والساحات المنيعة<sup>(١٦٩)</sup>.

### وفاة أرغون

من المعروف أن أرغون خان كان يتقرب إلى الكهنة البوذيين، وقبيل وفاته بثمانية أشهر، قام بتناول مخلوط من الكبريت والزئبق لمدة ثمانية أشهر بناء على استشارة كاهن بوذي، وذهب في نهاية الشهر الثامن للتحنث بقلعة تبريز، ولم يكن يسمح سوى لوزيره سعد الدولة واثنين من كبار أمرائه هما (أردوقيا وقوجان) بالدخول عليه. ولما خرج من خلوته ذهب إلى (آران)، وهناك مرض وتدهورت صحته بعد تناوله ذلك الشراب. ولكنهم ظنوا أن إحدى سيدات الحريم وتدعى (طوعجاق خاتون) قد عقدت له سحراً، فعذبت وألقي بها في النهر مع جملة من السيدات الأخريات. في حين أشاع البعض أن السم قد دس له<sup>(١٧٠)</sup>. وأخيراً وبعد صراع مع المرض لقي أرغون حتفه يوم السبت ٧ من ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ/١٢٩١م، وفي يوم الإثنين ٩ من ربيع الأول حمل جثمانه إلى

ناحية "سجاس"\*\*\*.<sup>(١٧١)</sup> وأجريت له مراسم الدفن حسب الطريقة المغولية. وجدير بالذكر أن الإيلخان الرابع وهو أرغون كان آخر حاكم مغولي من سلالة الإيلخانيين تجرى له مراسم الدفن المغولية المعتادة، وقد دفن في جبل "سجاس" الذي يبعد حوالي عشرين ميلاً إلى الجنوب من مدينة السلطانية، والتي كان قد شرع في بنائها ولم يتمها، فأكملها من بعده ابنه أولجايتو (٧٠٣-٧١٦هـ/١٣٠٣-١٣١٦م) وجعلها حاضرة لملكه، حيث تذكر بعض المصادر والمراجع بأن أرغون خان قد جرت له مراسم الدفن حسب الطريقة والعادات المغولية، أي أنه تم صنع تابوت، ووضعت الجثة في داخله، ثم دفن ومعه كميات هائلة من الجواهر من ذهب وفضة وغيرهما، كما دفن معه عدد من البنات ذوات الحسن والجمال في غاية التزين، لابسات ثياب فاخرة مرصعة باللآلى، وذلك لئلا تصيبه الوحشة، ويأخذه الضيق فيبقى حسب زعم "لوسترانج" المؤرخ والجغرافي مصاناً من عذاب النار<sup>(١٧٢)</sup>. وراعوا في عملية الدفن السرية التامة، فبعد أن تم دفنه على قمة ذلك الجبل، جعلوا الجبل جميعه منطقة مقدسة، فلا أحد يجزؤ أن ينتهك لها حرمة، كما أنهم أخفوا جميع المعالم التي يمكن أن يستدل منها على القبر في تلك المنطقة، حيث أن المرء يمر بها دون أن يعرف أن بها قبراً<sup>(١٧٣)</sup>. ومع هذا فقد قامت ابنته الكبرى "أولجايتو" أو "أولجايتو" خاتون" بإمطاة اللثام عن مكان مقبرة والدها، وكانت قد اعتنقت الإسلام، فأقامت عند قبره رباطاً يقيم فيه الصوفية ويتعبدون، كما قامت بإنشاء مستوطنة هناك، لتعمير المنطقة المحيطة بقبر والدها<sup>(١٧٤)</sup>.

### الخاتمة

إذا كنا بصدد تقديم رؤية جديدة عن الصراع بين الإسلام والوثنية المتحالفة مع المسيحية أحياناً في إيلخانية مغول إيران، على عهدي أحمد تكودار خان

وأرغون خان ، فإنه يجب علينا بادي ذي بدء أن ننلقي بعض الأضواء الكاشفة على ما توصلنا إليه في بحثنا من نقاط نراها جديدة على نحو أو آخر، وهذا يقودنا إلى ضرورة التعريف على الأقل بأهميتها، والتي استوحيناها من دراسة ومقارنة ما جاء بالمصادر والمراجع التي تحدثت عن الفترة من سنة (٦٨١-٦٩٠هـ / ١٢٨٢-١٢٩١م)، وهي حوالي عشر سنوات وكانت ملامح الصراع فيها واضحة تماماً بين الجبهة الإسلامية ممثلة في تكودار خان، والجبهة الوثنية المتحالفة مع المسيحية ممثلة في أرغون خان.

وقدر أظهر البحث عدم صحة ما تردد من رأي قائل بأن مقتل أحمد تكودار عام ٦٨٣هـ / ١٢٨٤م على يد ابن أخيه ومنافسه على العرش المغولي في إيران وهو أرغون خان قد كان بمثابة الانتصار الحاسم للوثنية المتحالفة مع المسيحية على الإسلام ، والقضاء على شوكة المسلمين في إيران، وانقلاب الموازين وتغيير الأوضاع في غير صالحهم لحساب الوثنية والمسيحية، وترسيخ قوانين جنكيز خان وآداب المغول. هذا الرأي الذي روج له المسيحيون النساطرة المنتشرون في تلك البلاد كنوع من المبالغة في إظهار نفوذهم، بل والترويج لتحول أرغون خان إلى المسيحية. ولقد أظهر البحث أن هذه مزاعم باطلة، وأن ما كان يمنحه هذا العاهل المغولي لرجال الدين المسيحي من عطف وزيارة كنائسهم، ومشاركته في احتفالاتهم كان يفعله مع الكهنة من عبدة الشامانية، وعبدة البوذية، بل ومع كبار رجال الدين الإسلامي، وأن سلوكه هذا لا يدل على تغيير في ديانته، بل إنه يخفي لا مبالاة شديدة بأمور الأديان، والعقائد الأخرى المخالفة لديانته الوثنية، والتي تعصب لها أشد التصعب حتى آخر رفق في حياته.

كما أظهر البحث أن فترة الصراع هذه تحتل مرحلة هامة في حياة دولة مغول إيران، ذلك بأن الخان أحمد تكودار وجه كل اهتمامه وإمكاناته وقدراته لحمل المغول على إعتناق الإسلام، فثار عليه ابن أخيه أرغون خان والتف حوله بعض قدامى المغول من الوثنيين والبوذيين إلى جانب النساطرة المسيحيين من أهل البلاد، وهي فترة تمثل اختباراً بالغ الأهمية في حياة تلك الدولة، وفيها وضح نشاط العناصر الإسلامية الإيرانية في جذب كثير من العناصر المغولية وذوبانها في الشعب الإيراني. ولم تمر على وفاة أرغون خان أربع سنوات، وهي فترة قصيرة في عمر الدول والشعوب إلا واعتنق ابنه غازان خان الإسلام في الرابع من شهر شعبان عام ٦٩٤هـ / ١٩ يونية عام ١٢٩٥م وتبعه الألوף المؤلفة من المغول، والذين أصبحوا سياجاً منيعاً حمى الإسلام من شر الوثنية. مما يعد انتصاراً فاق حد التخيّل للإسلام والمسلمين، ليس هذا فحسب، بل سرعان ما دخلت مغول إيران في تحالف مع قوى المسلمين المجاورة، ومن أهمها دولة سلاطين المماليك المتاخمة لحدودهم مع بلاد الشام، إلى جانب ما تضمنه السلطنة المملوكية من بلاد مثل الحجاز واليمن ومصر.

كما أظهر البحث أن هذه الفترة من أخطر فترات تاريخ إيران وأكثرها اضطراباً، وأنها ترصد لنا التغيرات، التي بدأت تأخذ مكانها في حكام مغول إيران، وبوجه خاص منذ عهد تكودار خان (٦٨١-٦٨٣هـ / ١٢٨٢-١٢٨٤م) بحيث نجدهم مغولاً شكلاً وأصلاً، فرساً حضارة وثقافة، مسلمين ديناً، ومقربين برجال الدين الإسلامي، ومؤثرين لهم على غيرهم من رجال بلاطهم.

كذلك أظهر البحث أنه لعل أحداً من الحكام لم يلق الغبن في حياته وبعد مماته ما لقيه أحمد تكودار خان، وهو الذي مهد لاستقلال دولة المغول في إيران



دينياً، وسياسياً عن سيطرة الخاقان الأعظم في بكين في الصين، وتحولها من دولة مغولية تابعة للصين إلى دولة مسلمة تحاول زعامة العالم الإسلامي.

وأثبت البحث أن أحمد تكودار خان كان هو الشخص المناسب بما حباه الله تعالى من سمات وصفات لتلك الفترة المضطربة من حياة دولة المغول في إيران، وذلك لما كان يراه من عدم محاربة المسلمين من جيرانه، وما بذله من جهد لتأليف قلوب المغول حوله بما بذله لهم ولكبار أمرائهم من نصيح ومنح وعطايا وألقاب شرف، إلى جانب إدراكه أن معاداة سلطنة المماليك وهي أكبر قوة إسلامية يعد خطأ فادحاً وإن إعلان إسلامه وإشهار ذلك كان الهدف منه تكوين رأي عام ضاغظ لخدمة مصالح العاهل المغولي في العالم الإسلامي، وكسب ود المسلمين في منطقتي الشرق الأدنى والأقصى. وبما يكون سبباً في التقارب الذي سعى إليه مع سلطنة المماليك، ولمنع أية محاولة منهم لقصد العراق أو إيران لطرد المغول من هذه البلاد.

كما أظهر البحث سعة أفق أحمد تكودار خان، وإدراكه لتطورات الأحداث الدولية من حوله، ومنها: إن الدخول في علاقات دبلوماسية مع الغرب الأوروبي المسيحي لم يأت بالآمال المرجوة منها، حيث أن الروح الدينية والمعنوية عند الصليبيين في بلاد الشام قد ضعفت، كما ضعفت معها سلطات البابوية، وأصبح البابوات أتباعاً لملوك وأباطرة وأمراء الغرب الأوروبي، فضلاً عن أن اللجوء إلى الغرب والتحالف معه لتكوين جبهة مناهضة لدولة سلاطين المماليك لم يعد مجدياً، وهذا المنحى هو ما نحاه قبله أخوه أباقا أو أبغا خان (٦٦٣-٦٨٠هـ/١٢٦٥-١٢٨٢م) ووالده هولاكو خان بسبب ما قام من تحالف بين سلطنة المماليك ومغول القبيلة الذهبية في القفجاق في بلاد روسيا. ولأن (تكودار) كان مسلماً فإن الإسلام كفيل بإصلاح ذات البين بين المغول في إيران،

ومغول القفجاك وسلطنة المماليك. فضلاً عن أن الغرب الأوروبي كان قد أدرك أن تكوين جبهة عسكرية مع مغول إيران لم يعد أمراً مطلوباً.

وأظهر البحث أيضاً كيف أن أرغون خان بعد وفاة والده أباقا خان (٦٨٠هـ-١٢٨٢م) كان يعتبر العرش ميراثاً له، مما يعد تحولاً عن إلياسا التي وضعها جنكيز خان والتي توصي بتولي الأخ الأكبر للخان المتوفى للعرش.

كما ألقى البحث الضوء على سياسة أرغون الداخلية وتفضيله العنصر اليهودي لحرصه في جمع المال له، مما كان سبباً في ثورة المسلمين ضد اليهود في بغداد، ونقمة العناصر المغولية على اليهود لأنهما السبب في حرمانهم من كثير من المزايا المادية التي كانوا يتمتعون بها.

كما أن البحث قد ألقى الضوء على علاقات أرغون خان بالغرب الأوروبي وسفاراته المختلفة إلى بابوات وملوك ورؤساء الغرب، وفشلها في تحقيق الهدف منها، فضلاً عما تناوله البحث من حديث عن شخصية أرغون وثقافته، وأعمال العمرانية إلى حين وفاته، وطريقة دفنه وفق القواعد المغولية الوثنية. وإلى جانب ذلك فإن البحث أوضح أن أرغون خان قد لقي حتفه بعد قتله عمه تكودار بسبع سنوات، وإن اختلف المؤرخون في تحديد يوم وفاته، فقد ذكر الذهبي أنه توفي في اليوم السادس من ربيع الأول سنة ٦٩٠هـ/١٢٩٠م، بينما ذكر المؤرخ الإيراني البديسي أنه توفي في اليوم الخامس من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة نفسها، ويذكر الهمذاني بأنه لقي حتفه في يوم السبت ٧ من ربيع الأول وحمل نعشه إلى جبل "سجاس" ودفن هناك. بينما هناك بعض المصادر التي لم تحدد يوماً معيناً للوفاة، فقالت في حديثها عن السنة نفسها "وفيها في ربيع الأول مات أرغون ملك التتر بن أبغا بن هولكو خان ومدة ملكه نحو سبع سنين"

(١٧٥). ونحن نرجح قول رشيد الدين الهمذاني باعتباره مؤرخ أسرة هولاكو خان، وأقيمت له مراسم التعزية في معسكراته.

وهنا ينبغي أن نشير إلى عبارة ذكرها رشيد الدين الهمذاني وهي: "وترك الدنيا الفانية لذريته المشهورة الخالدة" (١٧٦). وهو يقصد بذلك أن أرغون أفنى السبع سنوات التي حكمها (٦٨٣-٦٩٠هـ/١٢٨٤-١٢٩١م) في الصراع بين الوثنية التي يمثلها والمتحالفة مع المسيحية أحيانا واليهودية حيناً ضد الإسلام، وكانت النتيجة هي نصرته الإسلام على أيدي ابنه غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ/١٢٩٣-١٣٠٤م)، ولأن الخلود لله وحده، فإن ما يقصده مؤرخنا هنا بكلمة "الخالدة" هو خلود الذكرى.

وإذا كان بعض المؤرخين يرون أن المسيحيين النساطرة كان لهم تأثير كبير في سياسة أرغون الخارجية، حيث استخدمهم كسفراء للمغول إلى أوروبا، وأنه كان لهم أيضاً تأثيرهم الكبير في بلاط أرغون، حيث قام كبيرهم بتنصيب ابن أرغون أولجايتو. فهذا في حد ذاته يؤكد ما ذهبنا إليه من أن أرغون لم يكن الدين بالنسبة له سوى وسيلة يتقرب بها إلى الغرب الأوروبي المسيحي لتكوين جبهة ضد سلطنة المماليك، إذ لا فرق عند حكام المغول بين العبد والحر والمؤمن والكافر والمسيحي واليهودي فهم يسوسونهم بصولجان واحد.. كذلك يرى البعض أن أرغون خان عندما تولى العرش أخذ في تصفية المسلمين، فلم يبق أحدا منهم في البلاط، ثم لاحقهم في دوائر الدولة الأخرى، واستبدلهم بآخرين من المسيحيين واليهود، حتى إنه عين يهودا من تفلين بإقليم جورجيا الصغرى على موارد المسلمين، والمفروض أنها وظيفة إسلامية. وفي رأينا أن تلك الإجراءات لم تكن سوى خطوة في إيجاد جبهة يركن إليها لمواجهة المد الإسلامي.

وإذا كان هناك بعض المؤرخين الذين يشككون في حقيقة إسلام تكودار وأن هدفه من إسلامه كان سياسياً<sup>(١٧٧)</sup>. وهو تخفيف حدة التوتر مع سلطنة المماليك الإسلامية في مصر والشام والحجاز. فإذا كان هذا هو هدفه الحقيقي والذي راح ضحيته كما ذكرنا، فما الذي دفعه أن يرسل إلى أهل بغداد كتابه الذي جاء فيه وهم تحت حكمه ورعيته: "إنا جلسنا على كرسي الملك، ونحن مسلمون، فنتبلغون أهل بغداد هذه البشرى، ويعتمدون في المدارس والوقوف وجميع وجوه البر ما كان يعتمد في أيام الخلفاء العباسيين، ويرجع كل ذي حق إلى حقه في أوقاف المساجد والمدارس، ولا يخرجون عن القواعد الإسلامية"<sup>(١٧٨)</sup>.

ومن المعروف أن حكام المغول اشتهروا بالعنت والبطش والجبروت والغطرسة، فإن لم يكن قد حسن إسلامه فعلاً، فما الذي يدفعه إلى جعل الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع في دولته؟ وهذه الخطوة هي قمة الصراع ضد الوثنية وإلغاء قوانينها المتمثلة في إلياسا الجنكيزية، ومما لا شك فيه أنه كان يدرك أبعاد ذلك الصراع، وقد كان في إمكانه تحقيق النصر الذي باتت معالمه واضحة بهزيمة ابن أخيه أرغون واستسلامه له وقبضه عليه، ولولا الخيانة لما انقلبت الموازين لصالح أرغون، والسبب في هذا هو أنه اعتمد على أشخاص لم يكونوا مخلصين كل الإخلاص له، وفي مقدمتهم الأمير (بوقا) الذي سبق وأشرنا إلى دوره في ذلك.

كما أثبتت الأحداث أن تكودار كان يلهو ويلعب في وقت لا يحتمل إلا الجد كل الجد، وهذا يتضح تماماً عندما غلبه الحنين إلى زوجته "توداي خاتون"، فقرّر الرحيل إليها عقب القبض على أرغون، في وقت كان يتطلب بقاءه، ليرقب الأحداث عن كثب، ويتخذ إزاءها القرارات السريعة المناسبة. ولكن غيابه عن الميدان أتاح الفرصة لأعدائه لحبك المؤامرة ضده، فنجحوا في الإطاحة به.

وشاء ربك أن يكون هذا هو مصير تكودار، وهكذا تثبت لنا الأحداث التاريخية أن الأقدار تجري وفق مشيئة مقدرها لحكمة يعلمها هو سبحانه وتعالى. إذ لم يكن مقدرا أن يعم الإسلام جميع المغول في إيران في عهد تكودار، ولكن في عهد غازان وبعد حوالي أربع سنوات من وفاة والده، أن تستقل حكومة مغول إيران كلية عن حكومة الخاقان الأعظم في الصين، وأن تصبح الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع الوحيد منذ عهد غازان، وما كانت فترة تكودار إلا الإرهاصة التي سبقت ميلاد عهد جديد لمغول إيران.

ومما يؤكد أن هذه الإرهاصة كانت قوية جدا، وأن الإسلام كان قد أخذ ينتشر بين المغول وبسرعة فائقة ما جاء في أحد المصادر المعاصرة لتلك الحقبة من قول في سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م من أنه عندما عاد رسل السلطان أحمد تكودار من عند المنصور سيف الدين قلاوون وقالوا له: "أنه لا يثق إلا بكلام الشيخ عبد الرحمن الرافعي لما يعلم من دينه وأن حكمه على الملك أحمد أغا سلطان وعلى وزيره صاحب ماردين وجماعة كثيرة نحو مائتي ألف فارس وراجل وأتباع وغيرهم.."، وكان هذا رد المنصور سيف الدين قلاوون على المشافهة التي حملها رسل تكودار لطلب الصلح مع سلطنة المماليك، وفعلا قام تكودار بتجهيز هذا الشيخ الذي كان قد جعله شيخا للإسلام ومعه بعض أمراء المغول وجماعة صحبتهم "نحو مائة وخمسين نفرا، وأرسلهم إلى الملك المنصور ليقرر الشيخ عبد الرحمن الرافعي قواعد الصلح بين أحمد أغا سلطان ملك التتر وبين الملك المنصور صاحب مصر" والذين وصلوا إلى دمشق في ليلة الثلاثاء ثاني عشر ذي الحجة من تلك السنة، واجتمع بهم قلاوون ثلاث مرات، ثم أخبرهم بقتل تكودار وتولي أرغون الحكم<sup>(١٧٩)</sup>. يضاف إلى ذلك ما ذكره المؤرخ ابن العبري "ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م"، وهو في الوقت نفسه كان رئيس الكنيسة السريانية وكان معاصرا لتلك الأحداث عندما قال: "وغير خاف أن أغلب

المغول في زماننا (أي في بداية حكم أرغون) قد دانوا بالإسلام وأصبحوا يدافعون عنه اللهم إلا إذا اضطهرهم الزعماء أن يقاتلوهم (يقصد المسلمين) ويبطشوا بهم" <sup>(١٨٠)</sup>. وما يؤكد خواندمير (ت ٩٤٢هـ) من أن انتشار الإسلام يرجع أساساً إلى جهود السلطان أحمد تكودار ووزيره حين يقول: "في تلك الأيام ارتفع شأن الإسلام لما بذله خواجه شمس الدين محمد والسلطان من مساعي طيبة" <sup>(١٨١)</sup>.

كما أثبتت الدراسة أن فترة حكم أرغون وهي السبع سنوات لم تكن عصر ازدهار المسيحية أو الوثنية المتحالفة معها، وتدهور الإسلام كما زعم البعض، بل هي بداية النهاية للمسيحية والوثنية المتحالفة معه.

حقاً إن السلطان أحمد تكودار حاكم مغول إيران (٦٨١-٦٨٣هـ/١٢٨٢-١٢٨٤م) جدير بأن يكون في زمرة الشباب البطل الذين كان سيكون لهم شأن أي شأن في التاريخ الإسلامي لولا المكائد التي حيكّت ضده. أما أرغون خان (٦٨٣-٦٩٠هـ / ١٢٨٤م ١٢٩١م) فإن كل ما كان يأمله في صراعه من تحالف مع الفرنج "الصلبيين" هو محاولة الإبقاء على بقايا الإمارات الصليبية شوكة في جنب المسلمين، وإقامة التحالف الوثني المسيحي، لتكوين جبهة لسحق قوة المماليك، وضم بلادهم إلى دولة المغول الوثنية، على أن ما حدث فعلاً أن ظلت الدولة المملوكية الإسلامية لمدة ثلاثة قرون، ولم تمض على وفاة أرغون أربع سنوات حتى دخل مغول إيران في الإسلام. وتحولت دولتهم إلى إحدى الدول الإسلامية التي جرت في فلك الإسلام طوال عهدهم.

### الحواشي والتعليقات

١- العيني "بدر الدين محمود"، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المممودى، القاهرة،

٢- الهمذاني "رشيد الدين فضل الله"، جامع التواريخ، المجلد الثاني، الجزء الثاني، نقله إلى العربية د. محمد صادق نشأت، د. فؤاد عبد المعطي الصياد، وزارة الثقافة - القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص ٢١. الصياد فؤاد عبد المعطي، الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين أسرة هولاكو، الدوحة، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص ١٤.

٣- انظر: خليل أدهم، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٧٢م، ج ٣، ص ٤٨٠. الصياد، المرجع السابق نفسه، ص ٢٨.

٤- انظر: القلقشندي "أبو العباس أحمد ت ٨٢١هـ"، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٤م، ج ٤، ص ٤١٩. الصياد، نفسه، ص ٢٨.

٥- انظر: فهمي "عبد السلام عبد العزيز"، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف المصرية، ١٩٨١م، ص ١٥٣. وانظر كذلك: دائرة المعارف الإسلامية الكبرى بالفارسية، المجلد السابع، طهران، ١٣٧٧هـ، ص ٢٨.

A. Boyl The Successors of Genghis Khan, Columbia University Press, 1971, pp: 1-15. David Morgan: Medieval Persia, London, 1988, p. 81. Percy Sykes, A History of Persia, London, 1958, pp: 105-108.

٦- انظر: Runciman, S. A History of the Crundes, Cambridge, 1959, Vol. 3, p. 204. وكذلك: عاشور "سعيد عبدالفتاح"، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م، ج ٢، ص ١٠٧٥. فهمي: نفسه، ص ١٥٠.

٧- الصياد "فؤاد عبد المعطي"، المغول في التاريخ، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣١٧٣١٨. ٨- أبو الفداء "عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٣هـ"، المختصر في أخبار البشر، القسطنطينية، ١٢٨٦هـ، في ذكره حوادث سنة ٦٥٨هـ.

٩- عاشور، نفسه، ج ٢، ص ١٠٨٣.

١٠- العريني "السيد الباز"، المغول، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٦٤.

١١- الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٤٨.

\* الكهنة الشامانيون: نسبة إلى الديانة الشامانية الوثنية والتي كانت تتمثل في عبادة كل شيء يسمى على مدارك المغول، كما أنه يتمثل في عبادة كل ما يخشونه ويرهبونه فلهم آلهة تتمثل في النهر، والجبل والشمس والقمر، والبرق، والرعد. وإذا كان المغول يتقربون إلى هذه الآلهة فإنهم كانوا يفعلون ذلك دفعاً لشرها وأذاها، راجين منها الصحة في أجسامهم وعقولهم، ملتجئين إليها حماية أبنائهم وحيواناتهم.

\* الكهنة البوذيون: هم معتقي الديانة البوذية التي حلت محل الديانة الشامانية وسرعان ما اجتذبت إليها طوائف المغول، خصوصاً بعد أن استمرت هذه الديانة في هضبة التبت، وأخذ دعايتها يعملون على نشرها في الجزء الشرقي من آسيا. وعندما اعتنق الخان الأعظم قوبيلاي هذه الديانة زاد نفوذها.

انظر: *الصياد، المغول* ص ص: ٣٣٥ - ٣٣٦.

١٢- *هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ج٢، ص ٣٠١.

١٣- المرجع السابق: نفسه، ج٢، ص ص: ٢٩٨-٣٠٢.

١٤- *عبد العزيز جاويد، رحلات ماركو بولو، الهيئة المصرية العامة للكتاب*، ١٩٧٧م، ص ص: ٧-٩، ٣٥٤، "ولد ماركو بولو بمدينة البندقية (فينيسيا) عام ١٢٥٤م، وفي سن السابعة عشرة من عمره صحب والده وعمه في ثاني رحلة لهما لبلاد الصين التي كان يحكمها الخان المغولي الأعظم قوبيلاي خان، فوصلها عام ١٢٧٥م، ولم يمض وقت طويل حتى تعلم لغة المغول وعاداتهم، واستخدمه الخان في عدة وظائف، وقضى في بلاد المغول سبعة عشر عاماً زار فيها كثيراً من بلدان الشرق الأقصى. فكان أول أوروبي بحق يشاهد الشرق. وفي عام ١٢٩٢م أبحر من الصين إلى فارس، ومنها إلى طرابيزون على البحر الأسود في طريق عودته إلى موطنه البندقية التي وصلها عام ١٢٩٥م. ويُعد كتابه من أعظم كتب الأسفار فيما يتعلق بآسيا الوسطى والصين بوجه خاص، والحياة الآسيوية بوجه عام في العصور الوسطى).



١٥- شافع بن علي، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين أبي الفتح قلاوون، نشر وتحقيق باولينا لويسكا، وارسو، ٢٠٠٠، ص ٣٠٧.

١٦- العريني، المغول، ص ص: ٣٠٣-٣١١.

١٧- David Morgan, *Op*, cit. pp: 81-82

١٨- الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان"، *دول الإسلام*، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٧هـ، ج ٢، ص ص ١٥٢-١٥٣.

١٩- Grousset, René, *L'Empire des Steppes*, Paris, 1928, p. 404 Malcolm, *The History of Persia*, London, 1829, Vol. I, pp. 275-277.

انظر كذلك: عباس إقبال: تاريخ مفصل إيران، طهران، ١٣١٢هـ — ش، مجلد أول، ص ص: ٢٥٦-٢٥٧. القزاز "محمد صالح"، *الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، النجف*، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٢٩٢. *الصياد* "د. فؤاد عبد المعطي"، *السلطان محمود غازان خان المغولي، القاهرة*، ١٩٧٩م، ص ص: ١٤-١٦.

٢٠- خواندمير "غياث الدين محمد بن همام الدين الحسيني ت ٩٤٢هـ"، *حبيب السير في أخبار أفراد البشر، بالفارسية، طهران*، ١٣٣٣هـ، ص ص: ١٢١-١٢٥.

٢١- فهمي، *تاريخ الدولة المغولية*، ص ٥.

٢٢- شافع بن علي، نفسه، ص ٣٠٨. ابن الفرات "ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم"، *تاريخ ابن الفرات، بيروت*، ١٩٣٨م، ج ٨، ص ٤. ابن الوردي "زين الدين عمر بن مظفر الدين ت ٧٤٩هـ"، *تاريخ ابن الوردي، النجف*، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ج ٢، ص ٣٢٨. ابن أبيك الدواداري، *الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية، القاهرة*، ١٩٧٩م، ص ص: ٢٤٨-٢٦٤؛ *خواندمير، دستور الوزراء، القاهرة*، ١٩٩٣م، ص ١٢. عباس إقبال: *تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، الترجمة العربية، أبو ظبي، بدون تاريخ طبع*، ص ص: ٢٣٨-٢٣٩. عباس

- العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٩٣٥، ص ٣٠٤. عمران "محمود سعيد"، المغول والأوروبيون والصليبيون، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ٣٥١.
- ٢٣- ابن تغري بردي "جمال الدين يوسف أبو المحاسن ت ٨٧٥هـ"، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م، ج ٤، ص ١٥٧.
- ٢٤- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ٨٨.
- ٢٥- David Morgan, *Op. Cit.*, pp: 65-68.
- ٢٦- دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، بالفارسية، ص ٢٧.
- ٢٧- العريني، المرجع نفسه، ص ٣٠٢. فهمي، نفسه، ص ١٦٧. رنسيما، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، بيروت، ١٩٦٩، ج ٣، ص ٦٧٢. Grousset, *Op. Cit.*, p. 446.
- \* مغول القفجاق: استمرت دولة مغول القفجاق (القبجاق) تحكم شمال شرق العالم الإسلامي منذ العهد المغولي وكانت حدودها الجنوبية تصل إلى سواحل بحر قزوين الشمالية الغربية وجبال القفقاس وسواحل البحر الأسود الشمالية، وكانت هذه الحدود تفصلها عن دولة المغول الإيلخانيين حكام إيران والعراق وآسيا الصغرى السلجوقية وكانت الحدود الشرقية لهذه الدولة تصل إلى المجرى الأعلى لنهر إيرتيش وتتجاوز حدودها في الغرب نهر الفولجا التي تقع عليه مدينة سراي العاصمة. وكانت دولة مغول القفجاق (القبجاق) قد نشأت في أثر التقسيم الذي أجراه القائد المغولي جنكيز خان في أملاكه قبيل وفاته. ودعيت البلاد ببلاد القفجاق نسبة إلى شعب القفجاق الذي كان يسكنها وهو فرع من شعوب الغز التركية وقد اعتنق حكام القفجاق الإسلام في وقت مبكر عن الوقت الذي اعتنق فيه أبناء عمومهم الإيلخانيين هذا الدين وكانوا في الوقت نفسه حلفاء دولة المماليك في مصر والشام. انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٤، ص ص: ٤٥٦-٤٥٨.
- ٢٨- فهمي، نفسه، ص ١٦٦. رنسيما، نفسه، ج ٣، ص ص: ٦٧٢-٦٧٥.

٢٩- **الهمذاني: نفسه**، م ٢، ج ٢، ص ٨٢-٩٣. **النويري** "شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب"، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ج ٢٧، ص ص: ٤٠١-٤٠٣.

**\*\* ممالك الخطا:** تعد من أعظم الممالك التركية التي تقيم في بلاد ما وراء النهر، وموطنهم الأصلي نواحي (أوزكند وبلاد ساغون وكاشغر) كانوا أمة بادية يسكنون الخيام وديانتهم المجوسية استطاعوا أن يوسعوا نفوذهم على حساب الأقاليم المجاورة لهم حتى تمكنوا من بسط نفوذهم على بلاد ما وراء النهر واتسمت علاقتهم بالعداء مع كل من حولهم سواء مع حكام الأقاليم الإسلامية من جهة أو حكام التتار من بلاد الصين من جهة أخرى. انظر: **ابن الأثير**، على بن محمد بن محمد بن عبد الكريم، *الكامل في التاريخ*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ج ٩، ص ص: ٣٢٠-٣٢١.

**\*\*\* ممالك الماجين:** تقع هذه الممالك شرق ممالك الخطا إلى الجنوب قليلاً ويسمونها أهل البلاد منزري. والمغول يسمونها "منكياس" وكثيراً ما يرد الاسم الذي يطلقه المغول على الصين الجنوبية والهنود يطلقون عليه "ماهاجين" أي تيشن الكبرى وغيرهم يسمونها ماجين وتسمى عاصمتها "جنساي" أو "جنزا انظر: رشيد الدين الهمذاني، *جامع التواريخ*، المجلد الثاني/ الجزء الأول، ص ص: ١١٠-١١١ كذلك حاشية رقم (٣).

٣٠- **الهمذاني: نفسه**، م ٢، ج ٢، ص ٢١.

٣١- **ابن حبيب الحلبي** "الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م"، *تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه*، نشر وتحقيق د. محمد أمين، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٦، ج ١، ص ٧٢.

٣٢- **ابن الفرات: نفسه**، ج ٧، ص ص: ٢١٦-٢١٨. **الهمذاني: نفسه**، م ٢، ج ٢، ص ٨٥.

الإلياسا: لفظة مغولية معناها الحكم أو القاعدة أو القانون ، وردت في المصادر العربية والفارسية في صورة مختلفة: ياسا وياسه ويساق، ويسق. وتطلق على الحكم الذي يصدره الملك أو الأمير. وتشتمل الإلياسه على جانب كبير من الأحكام التي تتعلق بالجزاء والعقاب، وهذا الأحكام دونت بالخط الأيغوري، وأقرها جنكيز خان، وكان المغول يرجعون إلى نصوص الإلياسا (الإلياسه) للتشاور في السياسة العامة للدولة ، وفي تعبئة الجيوش والاستعداد للقتال ، وعند التشاور في اختيار خان جديد على عرش المغول.

انظر الباز العريني: *المغول* ، ص ص: ٥٩-٦٠.

٣٣- **الهمداني، نفسه**، م ٢، ج ٢، ص ص ٩١-٩٢٥؛ Howorth: *History of the Mongols* London, 1976, Vol. 3, p. 286.

٣٤- **ابن الفرات، المصدر نفسه**، ج ٧، ص ص ٢٣٤-٢٣٥؛ مشكور "محمد جواد": تاريخ بلاد إيران منذ الزمن القديم حتى انقراض القاجاريين، بالفارسية، الطبعة السادسة، طهران، ١٣٧٨هـ، ص ص: ٢٤١-٢٥٩.

٣٥- **D'Ohsson Histoire des Mongols**, Amsterdam, 1834-5, Vol. III, p. 553. **النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب**، ج ٢٧، ص ٤٠١. **بناكتي** "فخر الدين أبو سليمان داود بن تاج الدين أبو الفضل محمد بن داود"، *تاريخ بناكتي أو روضة أولي الأبواب في معرفة التواريخ والأنساب*، بالفارسية، طهران، ١٣٤٨هـ، ص ٤٣٧.

٣٦- **العريني، المغول**، ص ٢٦٣.

٣٧- **ابن الفرات، نفسه**، ج ٧، ص ص: ٢٢٨-٢٣١.

٣٨- **اشبولر "بارتولد"، تاريخ مغول در ايران باللغة الألمانية**، ترجمه إلى الفارسية محمود مير آفتاب، طهران، ١٣٧٤هـ، الطبعة الخامسة، ص ص: ٨٢-٨٣.

٣٩- **ابن حبيب، نفسه**، ج ١، ص ٧٢. **القلقشندي**، *صبح الأعشى*، ج ١٣، ص ٢٦٨. **المقريزي "تقي الدين أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ"**، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، القاهرة، ١٩٣٩م، ج ١، ص ٢٦٨.

**Sir Thomas Arnold: The Preaching of Islam**, London, 1935, p. 229. **Brown, A Literary History of Persia**, Cambridge, 1928, Vol. III, pp: 25-26.

٤٠- عمران "محمود سعيد"، *المغول والأوروبيون والصليبيون*، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص ٤١٤-٤٢٠.

٤١- ابن أبيك الدواداري، *الدرة الزكية*، ص ١١٤. Howorth: *Op. Cit.*, Vol. 3, p. 290. \* سيواس: بكسر السين وسكون الياء. إقليم بالروم، وهي بلدة كبيرة مشهورة بينها وبين قيسارية ستون ميلاً، وهي من مدن تركيا اليوم. انظر: *كي لسترنج، بلدان الخلافة*، ص ص: ١٧٩-١٨٠.

٤٢- المصدر السابق، نفسه، ص ص: ١٣٩-١٦٧.

٤٣- *العريني، المغول*، ص ١٣.

\*\* الشيخ كمال الدين عبدالرحمن الرافعي: عينه السلطان أحمد تكودار شيخاً للإسلام لكل ممالك إيران والعراق ووضع كل أوقاف دولته تحت تصرفه، وظلت للرافعي حرية التصرف المطلق في هذا المنصب خلال مدة ولاية السلطان أحمد تكودار القصيرة. وقام الرافعي بشطب رواتب النصاري واليهود من الدفاتر الإيلخانية وأحال المعابد البوذية والكنائس إلى مساجد، وأكره الكثير من النصاري على قبول الإسلام. انظر: *عباس إقبال، تاريخ المغول*، ص ٣٣٧.

٤٤- *الهمذاني، نفسه*، م ٢، ج ٢، ص ٩٧. *عباس إقبال، نفسه*، ص ص: ٢٣٨-٢٣٤. *بناكتي، نفسه*، ص ٤٣٧.

٤٥- ابن أبيك الدواداري، *نفسه*، ص ص: ٢٤٩-٢٥٢. *ابن الوردي، نفسه*، ج ٢، ص ٣٢٨.

٤٦- *شبولر، نفسه*، ص ٦٣.

٤٧- انظر في ذلك: D'Ohsson, *Op. Cit.*, 111, pp. 539-542; Howorth: *Op. Cit.*, Vol. 111, pp. 275-280.

٤٨- ابن عبدالظاهر "محي الدين"، *تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور*، تحقيق مراد كامل، القاهرة، ١٩٦١م، ص ٦١. *مرزوق "محمد عبدالعزيز"*، الناصر محمد بن قلاوون، سلسلة أعلام العرب ٢٨، بدون تاريخ، ص ٢٢٥.

٤٩- القزاز، *الحياة السياسية في العراق*، ص ١٩٩؛ الذهبي: *دول الإسلام*، ج ٢، ص ص: ١٥٢-١٥٣.

\* القبيلة الذهبية: هم مغول القفجاق (القبجاق) ، كانوا يسكنون حول نهر الفولجا ويطلق عليهم القبيلة الذهبية Colden Horde نسبة إلى خيام معسكراتهم ذات اللون الذهبي.

محمد جمال سرور، *دولة بني قلاوون في مصر*، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون سنة نشر، ص ٢١٧، حاشية رقم (٤).

٥٠- الصياد، *الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين*، ص ٥٩.

٥١- فهمي، *تاريخ الدولة المغولية*، ص ١٥٥.

٥٢- Grousset, *L'empire des Mongols*, 111, pp: 695-696.

٥٣- رنسيان، *تاريخ الحروب الصليبية*، ج ٣، ص ص: ٥٨٥-٥٨٦. الصياد، نفسه، ص ص: ٦٠-٦٢.

٥٤- بناكتي، نفسه، ص ٤٣٧. Grousset, *Op. Cit.*, 111, p. 693.

٥٥- ابن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، بيروت، ١٩٥٨م، ص ص: ٢٩-٢٩٣. المقرئزي، *السلوك*، ج ١، ص ٧٧ وما بعدها. القلقشندي، *صبح الأعشى*، ج ٨، ص

ص: ٥٥-٥٦. D'Ohsson, *Op.Cit*, Vol III, pp.553-580.

٥٦- ابن عبد الظاهر، نفسه، ص ٤٤. المقرئزي، نفسه، ج ١، ص ٧٧. الصياد، *المغول في التاريخ*، ص ١٦٩.

٥٧- الصياد، نفسه، ص ص: ١٦٩-١٧٠.

٥٨- الهمداني، *جامع التواريخ*، م ٢، ج ٢، ص ١٢١. ابن عبد الظاهر، نفسه، ص ٢٧١. خواندمير، نفسه، ص ١١٩. ابن الفرات، نفسه، ج ٨، ص ٤. المقرئزي، نفسه، ج ١، ص ٧٢٦.

٥٩- انظر ما يردده شبولر في كتابه المترجم من الألمانية إلى الفارسية من تشكيكه في نزاهة بعض المؤرخين المسلمين المعاصرين، ص ص: ٨٥-٨٦، ويمكن للقارئ الكريم التأكد من مدى نزاهة مؤرخينا المسلمين من مراجعة كتاب ابن الفرات، ج ٧، ص ٢٣٧، وما جاء به من أوصاف للحاكم الوثني آباخان بن هولاكو على الرغم من وثنيته واعتدائه على ممتلكات المسلمين.

- ٦٠- فهمي، نفسه، ص ١٦٩.
- ٦١- ابن العبري "أبو الفرج جمال الدين"، *تاريخ الزمان، بالسريانية*، نقله إلى العربية الأب إسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٣٤٤.
- ٦٢- ابن العبري، *تاريخ مختصر الدول*، بيروت، ١٩٥٨م، ص ٢٨٩.
- ٦٣- شافع بن علي، نفسه، ص ص: ٣٠٧-٣٠٨.
- ٦٤- المصدر السابق، نفسه، ص ص: ٣١١-٣١٦. ابن أبيك الدواداري، *الدرة الزكية*، ص ٢٤٩.
- ٦٥- The Preaching of Islam, p. 222.
- ٦٦- شافع بن علي، نفسه، ص ص: ٣٠٨-٣١١.
- ٦٧- ابن الفرات، *نفس المصدر*، ج٧، ص ص: ٢٧٥-٢٧٦.
- ٦٨- خواندمير، *حبيب السير*، ص ص: ١١٨-١١٩. شبولر، نفسه، ص ٢٢٢.
- ٦٩- ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، ج٧، ص ٣٦٢.
- ٧٠- ابن أبيك الدواداري، نفسه، ص ٢٦٤.
- ٧١- ابن الفرات، نفسه، ج٧، ص ٨.
- ٧٢- ابن الطقطقي "محمد بن علي بن طباطبا"، *الفخري في الآداب السلطانية*، مطبعة المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص ١٨. David Morgan, *Medieval Persia*, p. 69.
- ٧٣- خواندمير، نفسه، ص ١١٩.
- ٧٤- القزويني "حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر المستوفي"، *تاريخ كزیده*، بالفارسية، تقديم إدوارد براون، كمبريدج، لندن، ١٩١٠م، ص ص: ٥٨٤-٥٨٥. ابن العبري، *تاريخ الزمان*، ص ص: ٣٤٤-٣٤٧.
- ٧٥- الحسن بن حبيب، *تذكرة النبيه*، ج١، ص ٧٢ ص ٧٥. مرزوق، *الناصر محمد بن قلاوون*، ص ٢٢٥.
- ٧٦- ابن العبري، *تاريخ الزمان*، ص ٣٤٧. القزويني، *تاريخ كزیده*، ص ص: ٥٨٤-٥٨٥. خواندمير، *دستور لوزراء*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ص: ٣٥٢-٣٥٤.

٧٧- ابن العبري، نفسه، ص ص: ٣٤٧-٣٤٨. Percy Sykes, *Op. Cit.* pp. 107-108، وانظر

كذلك بناكتي، تاريخ بناكتي، ص ص: ٤٣٩-٤٤٠.

\* همذان: مدينة من الجبال، أعذبها وأطيبها هواءً وهي أكبر مدينة بها، وبها أربعة أبواب، ومنها إلى حلوان أول بلاد العراق سبعة وستون فرسخاً.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤١٠.

\*\* خواجه علاء الدين عطا ملك الجويني، شقيق شمس الدين محمد صاحب الديوان.

ولد عام ٦٢٣هـ والتحق بخدمة المغول منذ الصغر؛ وصار من عمال الديوان للأمير

أرغون حاكم إيران من قبل المغول. ولاءه الخان أباقا ولاية بغداد. وقد عمر تلك البلدة

في فترة قصيرة من الزمن، وكانت قد خربت بعد مقتل الخليفة المستعصم عام

٦٥٦هـ / ١٢٥٨م وكان خواجه علاء الدين فريد عصره في العلم والمعرفة. ومن

مؤلفاته كتاب (جها نكشاي) أي تاريخ فاتح العالم المراد به جنكيز خان. وقد كتبه

باللغة الفارسية في ثلاثة أجزاء. وقد توفي خواجه علاء سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م.

انظر: خواندمير، دستور الوزراء، ص ٣٨٨. كذلك الصياد، المغول، ص ٣٢٤،

حاشية رقم (١).

\*\*\* مجد الدين اليزدي: كان صاحب نفوذ كبير في الدول الإيلخانية وكان المنافس

الوحيد للأخوين شمس الدين محمد ابن محمد الجويني صاحب الديوان وعلاء الدين

عطا ملك بن محمد الجويني قتل مجد الدين سنة ٦٨١هـ.

الهمذاني، جامع التواريخ، ص ١٦٨.

٧٨- خواندمير، حبيب السير، ص ص: ١١٩-١٢١. بناكتي، تاريخ بناكتي، ص ٤٣٧. ابن

حبيب، تذكرة النبيه، ج ١، ص ٧٦. مشكور، تاريخ بلاد إيران، ص ٢٥٩.

٧٩- الكريم الأقسري "محمد بن محمد المشتهر بالكريم الأقسري"، مسامرة الأخيار

ومسامرة الأخبار، باللغة التركية، نشر وتحقيق عثمان توران، أنقرة، ١٩٤٣م،

ص ١٤١.

٨٠- الصياد، الشرق الإسلامي، ص ص: ١٤٧-١٤٨.

٨١- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٣٤.



- ٨٢- **الصيد، الشرق الإسلامي**، ص: ١٤٧-١٤٨.
- ٨٣- **ابن الطقطقي، المصدر السابق**، ص: ٥١-٥٢.
- ٨٤- **بناكتي، نفسه**، ص ٣٧٤. **الصيد، الشرق الإسلامي**، ص ٣٥. **العزاوي "عباس المحامي"**، تاريخ العراق بين احتلالين، بغداد، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، ج ١، ص ٣١٣.
- ٨٥- **أرنولد توماس، الدعوة إلى الإسلام**، ترجمه إلى العربية وعلق عليه د. حسن إبراهيم حسن وآخرون، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص: ٢٥٠-٢٦٢. **الصيد، السلطان محمود غازان**، ص ١٨٠. *Grousset, Op. Cit., P. 404.*
- ٨٦- **ابن الفرات، نفسه**، ج ٨، ص ٤. **المقريزي، السلوك**، ج ١، ص ٧٢٦.
- ٨٧- **ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور**، ص ٦٨. **بناكتي، نفسه**، ص ٤٤٢.
- ٨٨- **الصيد، الشرق الإسلامي**، ص ١٢٥، وما به من مصادر ومراجع.
- ٨٩- **ابن العبري، تاريخ الزمان**، ص ٣٥٥. **مرزوق، الناصر محمد**، ص ٥٧.
- ٩٠- **ابن الطقطقي، نفسه**، ص ٣.
- \* شمس الدين محمد الجويني: هو صاحب الديوان كان من أكفأ الوزراء والعمال والكتاب الفرس ويقال أنه لم يكن له نظير في عصره من حيث الكفاءة والجاه والثراء، وقد اشتهر بالحكمة والتواضع وحب العلم والشعر، وقد تم قتله بأمر من الخان أرغون في عصر يوم الأثنين الرابع من شعبان سنة ٦٨٣هـ.
- عباس إقبال، تاريخ المغول**، ص: ٢٤٤-٢٤٥.
- ٩١- **خواندمير، حبيب السير**، ص: ١١٨-١١٩. **القرويني، تاريخ كزیده**، ص ٥٨٤. **ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، القاهرة، ١٣٥١هـ، ج ٥، ص ٣٧٠. انظر كذلك *Howorth, Op. Cit., 111 p.286. D'Ohsson: Op. Cit., 3, pp: 553-570.*
- ٩٢- **خواندمير، نفسه**، ص ١١٩. **ابن حبيب، تذكرة النبيه**، ج ١، ص ٧٦.
- ٩٣- **ابن حبيب، المصدر نفسه**، ج ١، ص: ٧٦-٧٧.
- مازندران: اسم لولاية: طبرستان.
- يا قوت الحموي، معجم البلدان**، ج ٥، ص ٤١.
- \*\* آران: بالفتح وتشديد الراء، وألف ونون، ولاية واسعة منها جنرة التي تسميها العامة كنجة وبرذعة وشمكور وبيلقان بينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرس، فما جاورها من جهة المغرب والشمال فهو من آران، وما كان من جهة المشرق فهو من آذر بيجان.

البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م، ج ١، ص ٥٠.

\*\*\* آذر بيجان: صقع حده من برذعة مشرقاً إلى زنجان مغرباً ، ويتصل حده من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والطر، ومن أشهر مدنه تبريز وهي قصبة وكانت قديماً المراغة، ومن مدنه سلماس، وحوي ، وأرمينيا، وأردبيل وغير ذلك.  
انظر البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٤٧.

\*\*\*\* خواجه هارون: هو ابن الوزير شمس الدين محمد صاحب الديوان، تولى هارون في عام ٦٨٢هـ الدواوين وأصبح صاحب ديوان الممالك في بغداد. كان ماهراً في شتى العلوم، ومتبحراً في معظم الفنون، تلقى علومه الموسيقية على يد الأستاذ/ صفي الدين عبد المؤمن، وقد ألف (الرسالة الشرفية) في ذلك الفن.  
انظر: خواندامير، دستور الوزراء، ص ٣٣٩.

\*\*\*\*\* إربل: مدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع لها قلعة حصينة ذات خندق عميق في طرف المدينة.

انظر البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٥٠.

٩٤- الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٢٤.

\*\*\*\*\* ياهبالاها الثالث: تحمس البابا نيقولا الرابع لفكرة المغول التي اقترحوا فيها القيام بحملة مشتركة من الغرب المسيحي والمغول ضد عدوهم المشترك (المسلمين)، وقد حمل فكرة المغول ياهبالاها الثالث Uahbi Lahah III الذي زار مدينة جنوة وفرنسا وانجلترا وظل التشاور بين المغول وأوروبا حتى عهد غازان ولكن هذا التشاور لم يتعدى الخطابات والبعثات بسبب ضعف الممالك الغربية وضعف الكنيسة الكاثوليكية (البابوية).

انظر عمران، المغول وأوروبا، ص ص: ٣٩٣-٣٩٤.

٩٥- شيرازي "شرف الدين عبد الله بن فضل الله"، وصاف الحضرة تاريخ وصاف، بمباي، ١٣٦٩هـ، بالفارسية، ص ١١٠. وفي هذه المسألة انظر شوبولر، نفسه، ص ١٨٩.

وانظر كذلك: David Morgan, *Op. Cit.* pp: 65-66 وانظر كذلك: **العريني، المغول**، ص ٣٠٣.

\*\*\*\*\* القروال: مصطلح مغولي يقصد به مجموعة من العسكر ينامط بهم حراسة الطرق.

انظر: **المقريزي: السلوك**، ج ٣، ص ٩٧٩، حاشية (٢).  
\*\*\*\*\* الشحاني أو الشحن: ويقصد به رئيس الشرطة والموكل بالأمن في بلد من البلاد.

انظر: **المقريزي، المصدر السابق**، ص ٩٧٩، حاشية (٣).  
٩٦- **ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام**، ص ٦١. **ابن أبيك الدواداري، الدرّة الزكية**، ص ٢٥٢. **القلقشندي، صبح الأعشى**، ج ٨، ص ص: ٢٣٧-٢٤٣. **وصاف الحضرة**، نفسه، ج ١، ص ١١٣.

٩٧- **شبولر، نفسه**، ص ٢٤٣. **ابن الفرات، نفسه**، ج ٧، ص ٢٤٨. **ابن العبري، تاريخ الزمان**، ص ص: ٣٤٤-٣٤٥.

٩٨- **القلقشندي، نفسه**، ج ٨، ص ص: ٦٥-٦٨. **ابن العبري، تاريخ مختصر الدول**، ص ص: ٢٨٦-٢٩٢. **تاريخ الزمان**، ص ص: ٣٤٤-٣٤٥. **المقريزي، السلوك**، ج ١، ص ٧٠٧. **أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر**، ج ٤، ص ١٦.

\* **الحاكم بأمر الله** هو الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن الأمير أبي علي القتبني بن الأمير أبي بكر بن الإمام المسترشد بالله العباسي.  
**المقريزي، السلوك**، الجزء الأول، القسم الثالث، ص ٧٤٧.

٩٩- **المقريزي، السلوك**، ج ١، ص ٧٧٤. **سرور، دولة بني قلاوون في مصر**، ص ص: ١٧١-١٧٢؛ **الصياد، الشرق الإسلامي**، ص ١٢٦. انظر كذلك: Howorth, *Hist. of the Mongols*, 111, p. 278.

١٠٠- **هلال "عادل إسماعيل محمد"**، **العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٧م**، ص ١١٨.

١٠١- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٢٤. شبولر، نفسه، ص ٨٦. الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٥١.

\* كرمان: ولاية مشهورة وناحية معمورة، ذات بلاد وقرى ومدن واسعة، بين فارس ومكران وسجستان وخرسان.

انظر البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ٣، ص ١١٦٠.

١٠٢- انظر الهمذاني، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ص: ٧٠-٧٢. عبد العزيز جاويد، رحلات ماركو بولو، الترجمة العربية، ص ٣٥٢.

١٠٣- ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤، ص ٣١٠.

١٠٤- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٢٠. خواندمير، حبيب السير، ص ص: ١٢١-١٢٥. ابن كثير "أبو الفداء إسماعيل ت ٧٧٤هـ"، البداية والنهاية، بيروت، بدون تاريخ طبع، ج ١٣، ص ٣٨٢. بدر "مصطفى طه"، محنة الإسلام الكبرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص ٨٧. العريني، المغول، ص ٤٠، Howorth, Op. Cit. Vol. IV., p. 62.

١٠٥- ابن تغري بردي، المنهل الصافي، ج ٢، ص ٣١١.

١٠٦- عباس إقبال، تاريخ مفصل إيران، ج ١، ص ٢٤٢. الصياد، الشرق الإسلامي، ص ١٨٨.

١٠٧- ابن أبيك الدواداري، نفسه، ص ٢٥٧. ابن خلدون "ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ"، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ويعرف بتاريخ ابن خلدون، بيروت ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ج ٥، ص ص: ٥٤٦-٥٤٧. الصياد، الشرق الإسلامي، ص ص: ١٨٨-١٨٩. Howorth: Op. Cit., Vol. IV, pp: 90-104.

١٠٨- الهمذاني، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ٨٠. الصياد، المرجع السابق، ص ص: ١٥٨-١٥٩، ١٩٢-١٩١.

١٠٩- Runciman, Hist. of the Crusades, Vol. 3, pp: 313-320.

١١٠- ابن أبي الفضائل "مفضل ت ٦٧٢هـ"، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشر بلوشبه، باريس، ١٩١١م، ص ص: ٦٢٢-٦٢٣. المقرئ، لسلوك، ص ص: ٦٩٠-٩٩٩. أبو الفداء، المختصر، ج ٤، ص ص: ١٥-١٧. هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ص: ٢٧٣-٢٩٦. أما عن سبب رغبة أرغون خان في

الإتصال بالبابوية، فلا يستبعد أن يكون على علم بنفوذ وسيطرة البابوية على أباطرة أوروبا في القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ولا يستبعد أن أرغون خان كان على علم بالإتصالات السابقة التي كانت البابوية قد حققتها بحشودها على المسلمين في الأندلس، وعلى المسلمين في بلاد الشام زمن الحملات الصليبية الخامسة والسابعة على مصر وبلاد الشام.

١١١- ابن الفرات، نفسه، ج٧، ص ص: ٢١٣-٢١٨. وانظر كذلك: الذهبي "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان ت٧٤٨هـ"، العبر في خبر من غير، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، ج٥، ص ص: ٣٢٦-٣٢٧.

Howorth, *Hist. Of the Mongols*, 111, p. 278; Boyle, Andrews, "The Il-Khans of Persia and the Christians West". *History Today*, XXXIII, 8, 1973, pp: 551-562.

١١٢- فهمي: نفسه، ص ١٧٦. David Morgan, *Medieval Persia*, p. 69.

١١٣- زبدة الفكرة، ص ص: ٢٢٠-٢٢١.

١١٤- الهمذاني، نفسه، م٢، ج٢، ص ٩١.

١١٥- الذهبي، العبر، ج٥، ص ٣٦٦. فهمي، نفسه، ص ١٨١. ابن حبيب، تذكرة النبيه، ج١، ص ١٤١.

١١٦- راجع بيبرس الدواداري، زبدة الفكرة، ص ٢٠٢. دائرة المعارف الإسلامية الكبرى بالفارسية، ص ٦٤٦. الصياد، السلطان محمود غازان، ص ٤.

\* الري: مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن كثيرة الفواكه والخيرات، وهي محط الحاج على طريق السابله، وقصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وسبعون فرسخاً، وإلى قزوين سبعة وعشرين فرسخاً.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦. البغدادي، مرصد الإطلاع، ج٢، ص ٦٥١.

\*\* قزوين: مدينة في إيران، وباسمها بحيرة تسمى بحيرة قزوين تقع بين إيران وروسيا، وهي مدينة مشهورة بينها وبين الري سبعة وعشرين فرسخاً، وإلى أبهر اثنا عشر فرسخاً.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ٣٤٢.

١١٧- بيبرس الدواداري، نفسه، ص ٢٢١، حاشية ١. Howorth, *Op. Cit.*, Vol. 3, p. 34.

شبولر، نفسه، ص ص: ٨٤-٨٥. عباس إقبال، تاريخ المغول، ص ص: ٢٤٠-٢٤١.

١١٨- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ص: ٩٣-١٠٠. بيبيرس الدواداري، نفسه، ص ص: ٢١٥-٢٢٠.

١١٩- عباس إقبال، تاريخ المغول، ص ص: ٢٣٢-٢٣٩. رحلات ماركو بولو، ص ص: ٣٥٤-٣٥٥. الصيد، الشرق الإسلامي، ص ص: ١٣٦-١٣٨.

١٢٠- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ص: ٩٩-١٠٢. خواندمير، نفسه، ج ١، ص ص: ٣٣٤-٣٣٥. شبولر، نفسه، ص ٨٥. الصيد، نفسه، ص ١٣٨. مشكور، تاريخ بلاد إيران، ص ٢٠٩.

١٢١- الهمذاني، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ص: ١١٩-١٢١. وصاف الحضرة، نفسه، ص ص: ١٣٥-١٣٦. ابن أبيك الدواداري، نفسه، ص ص: ٢٢١-٢٢٢. أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ١٧.

١٢٢- الهمذاني، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ص: ١٢٠-١٢١. عاشور "قفايد حماد"، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف بمصر، ١٩٧٤م، ص ١٢٦.

١٢٣- خواندمير، حبيب السير، م ٣، ج ١، ص ص: ١٦١-١٦٤. نخجواني "محمد بن هندوشاه"، دستور الكاتب في تعيين المراتب، بالفارسية، نشر وتحقيق عبد الكريم علي أوغلي علي زاده، موسكو ١٩٦٤م، ج ١، ص ١٨١. وصاف الحضرة، نفسه، ص ٣١٦.

Grousset, *L'Empire des Steppes*, p. 457. عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك

والمغول، ص ١٣١، ص ١٦٣. Howorth, *Op. Cit.*, Vol. 3, p. 458.

Grousset, *Op. Cit.*, p. 457. -١٢٤

١٢٥- خواندمير، نفسه، م ٣، ج ١، ص ص: ١٢٥-١٢٧.

١٢٦- القزويني، تاريخ كزبرة، ص ص: ٥٨٤-٥٨٧. الهمذاني، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ص: ١٢٧-١٢٨.

\* جوشكاب: سعى بوقا الأمير الكبير في دولة أرغون خان على إغراء جوشكاب بن هولاكو بالملك بدلاً من أرغون إلا أن جوشكاب لم يوافق على طلبه، وأسرع في

إبلاغ أرغون بما تم من وزيره، فأمر أرغون بالقبض على الأمير بوقا في ٢٥ ذو الحجة سنة ٦٨٧ هـ وأمر بأن يقوم جوشكاب بقتل بوقا بيده، وعلى الجانب الآخر نظر أرغون إلى جوشكاب على أنه منافس له في الحكم ولم يكافأه نظير أمانته وإخلاصه له والإبلاغ عن خيانة بوقا وأعوانه. وبعد عام من مقتل بوقا قبض أرغون على الأمير جوشكاب بتهمة الخيانة وأمر بقتله.

**فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص ١٧٥.**

**\*\* الكرجستان:** وهي التي نسميها جورجيا، وإنجاز ويقال لها إنجازية، ولم تدخل في عداد الولايات الإسلامية إلا بعد أن فتح تيمور لك هذه النواحي. وتقليد قصبة كرجستان.

**كي ليسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٥٦.**

**١٢٧-بناكتي، تاريخ بناكتي، ص ص: ٤٤١-٤٤٢. الهمذاني، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ١٢٨.**

**مشكور، تاريخ بلاد إيران، ص ٢٠٩.**

**١٢٨- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٢٧. بناكتي، نفسه، ص ٤٤٢.**

**١٢٩- النويري، نهاية الأرب، ج ٢٧، ص ٤٠٥.**

**١٣٠- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٨.**

**١٣١- فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص ص: ١٧١-١٧٢.**

**١٣٢- العريني، المغول، ص ص: ٣٠٣-٣٠٥.**

**١٣٣- بارتولد شبولر، تاريخ مغول در إيران، الترجمة الفارسية، ص ص: ٨٢-٨٣.**

**١٣٤- المرجع السابق، نفسه، ص ص: ٩١-١٨٩. Howorth, Op. Cit., Vol. IV, pp: 90-104.**

**١٣٥- المرجع نفسه، ص ١٩٠. خواندمير، حبيب السير، م ٣، ج ١، ص ١٤٤. الذهبي، بول**

**الإسلام، ج ٢، ص ص: ١٥٢-١٥٣. Browne, A Literary History of Persia, Vol. III, p. 40**

**١٣٦- تاريخ وصاف، ص ٤٥٧. Grousset, op. Cit., p. 404. انظر كذلك: عبدالله القاشاني،**

**تاريخ أولجايتو بالفارسية، طهران، ١٣٤٨ هـ، ص ص: ١٣-١٤. Malcolm, The**

*History of Persia*, pp: 275-277.

- ١٣٧-العريني، المغول، ص ٢٤٨.
- ١٣٨- Bausani. A, "Religion under the Mongols" in Cambridge History of Iran. Vol. 5, pp: 541. Cambridge, 1968.
- ١٣٩- Setton, A History of the Crusades, Wisconsin Press, (U.S.A), 1969-1965, Vol. III, pp: 530-531.
- ١٤٠- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص: ١٨١-١٨٤. شبولر، نفسه، ص ٧١.
- \* جاجرم: بلدة بها كورة واسعة بين نيسابور وجوين وجرجان ، تستمل على قرى كثيرة.
- البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٣٠٥.
- ١٤١- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص: ١٢٨-١٣٣٠. ابن العيري، تاريخ الزمان، ص ٣٤٩. ابن الفرات، نفسه، ج ٨، ص ٤. شبولر، نفسه، ص ٧٣. الصيد، الشرق الإسلامي، ص: ١٢٩-١٣٠.
- ١٤٢- وصاف الحضرة، نفسه، ص ٢٢٩. ابن العيري، نفسه، ص ٣٥٣.
- ١٤٣- ابن العيري، تاريخ الزمان، ص ٣٥٤. دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، ص: ٦٤٦-٦٤٨. David Morgan, Op. Cit., p. 69.
- ١٤٤- ابن العيري، نفسه، ص: ٣٥٤-٣٦٤. النويري، نهاية الأرب، ص ٢٧، ص ٤٠٥. العريني، المغول، ص: ٣٠٤-٣٠٥. مشكور، تاريخ بلاد ايران، ص ٢٥٩. سرور، دولة بني قلاوون في مصر، ص ١٧٢. الصيد، الشرق الإسلامي، ص: ١٦٦-١٦٩. Howorth, Op. Cit., Vol. 3, pp: 330-331.
- ١٤٥- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ترجمة أحمد رضا محمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩١م، ج ٢، ص: ٣٠٣-٣٠٥. مشكور، نفسه، ص ٢٥٩. هلال، العلاقات بين المغول وأوروبا، ص ١١٨. Joseph of Cancy, Letters from the Holy Land, P.P.T.S, Vol. 5, pp: 1-16.
- ١٤٦- العريني، المغول، ص: ٣٠٥-٣١١. الصيد، الشرق الإسلامي، ص: ١٩٢-١٩٦. هلال، نفسه، ص: ١١٨-١٢٣. هايد، نفسه، ج ٢، ص: ٣٠٠-٣٠٧. عمران، نفسه، ص: ٣٥٢-٣٥٩.



Chabot, "Notes sur les Relations du Roi Argun avec L'Occident", *Revue de L'orient Latin*, 11, 1894, pp: 569-71

١٤٧- 134-146, Vol. I, pp: 134-146, London, 1976, **Setton (K.)**, *The papcy and Levant*,

١٤٨- 170-181, London, 1928, **Wallis Budge**, *The History of the Life and Travels of Rabban Sawma*, pp:170-181.

١٤٩- Ibid, pp: 182-184.

١٥٠- هلال، نفسه، ص ص: ١٢٤-١٢٦. الصيد، الشرق الإسلامي، ص ٦٤٨. شبولر،

نفسه، ص ١٩٢.

١٥١- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ص: ٣٦٥-٣٦٦. عاشور، الحركة الصليبية، ج ٢،

ص ١١١٣. الصيد، الشرق الإسلامي، ص ص: ١٩١-١٩٢. Grousset, *Op. Cit.*, III, p. 727.

Runciman, *Op. Cit.*, 111, pp: 398-402. Setto, *Op. Cit.*, 111, p. 534.

١٥٢- المقرئزي، السلوك، ج ١، ص ص: ٧٧٤-٧٧٧. سرور، دولة بني قلاوون في

مصر، ص ١٧٢. عمران، المغول والأوروبيون، ص ٤٢٦.

١٥٣- عمران، نفسه، ص ص: ٣٨٨-٣٨٩.

\* بلخ: مدينة مشهورة بخرسان من أجلها وأشهرها ذكراً، وأكثرها خيراً، بينها وبين تبريز اثنا عشر فرسخاً.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٧٩.

\*\* مرو: أشهر مدن خرسان وقصبتها. بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ص: ١١٢-١١٦.

\*\*\* شبورغان: أو شبورقان تخففها العامة فتقول شيرقان مدينة من الجرجان، قرب

بلخ بينهما مسيرة يوم أو يومين، بينها وبين الأنبار مرحلة من جهة الجنوب.

ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣١٣. البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١،

ص ٧٨٢.

\*\*\*\* خواف: بفتح أوله وآخره فاءً، قصبة كبيرة من أعمال نيسابور وتشتمل على مائة قرية.

البغدادي، مرصد الإطلاع، ج ١، ص ٧٨٤.

\*\*\*\*\* سنكان أو سنجان: قرية على باب مدينة مرو يقال لها در سنكان وسنجان أيضاً وهو موضع بباب الأبواب.

ياقوت الحموي، ج ٣، ص ٢٦٣.

\*\*\*\*\* قايدو خان: يكتب أيضاً قيدو، وهو ابن قاشي بن أوكتاي قاءان. ربي في معسكر جنكيز خان، وبعد وفاة جدة أوكتاي، صار ملازماً لمنكو قآن، وبعده وفاته لازم (أريق بوقا) وسعى في إجلاله على عرش الخانية فلما خضع أريق بوقا لأخيه قوبيلاي قآن، وأطاع أمره، استشعر قايدو خوفاً من قوبيلاي، فثار عليه وخرج على القانون، وارتكب عدة مخالفات، وقد عمر دهرًا طويلاً إلى أن توفي متأثراً بجراحه في إحدى المعارك التي خاضها ضد تيمور قآن.

الصياد، الشرق الإسلامي في عهد الإيلخانيين، ص ٤٧، حاشية رقم (٢).

١٥٤- شولر، نفسه، ص ٩١. الصياد، الشرق الإسلامي، ص: ١٨٩-١٩٠.

١٥٥- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٢٦. الصياد، نفسه، ص ١٩٠.

١٥٦- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٣.

١٥٧- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص: ٣٦١-٣٦٢.

١٥٨- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ٣٣٨.

١٥٩- المصدر السابق، نفسه، ص ١٦٦، حاشية رقم ١.

١٦٠- ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، ص ١٥.

١٦١- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٢٧.

١٦٢- الصياد، السلطان محمود غازان، ص: ٣٩-٤٠.

١٦٣- Quatremere, Histoire des Mongols, Paris, 1836, p. 77.

١٦٤- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١١. الصياد، المرجع السابق، ص ١١١.

١٦٥- الصياد، الشرق الإسلامي، ص: ٢٠١-٢٠٢.

١٦٦- الصياد، السلطان محمود غازان خان، ص: ٤٠-٤١.

١٦٧- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص: ١٥٧-١٥٨. الصياد، الشرق

الإسلامي، ص ٢٠٠.

- ١٦٨- الصياد، الشرق الإسلامي، ص ٢٠٠.
- \* السلطانية: مدينة أثرية تقع في نصف الطريق بين أبهر وزنجان، قد أنشأها أرغون خان وأتمها الجايتوخان، في سنة ٧٠٤هـ / ١٣٠٥م وجعلها عاصمة الدولة الإيلخانية.
- \*\* دومان: يقال عنها دباوند ودنباوند كورة من كور الري، بينها وبين طبرستان، وبها عدة قرى عامرة، وعيون كثيرة، وهي بين الجبال.
- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦.
- انظر: كي لسترنج، بلدان الخلافة، ص ٢٥٧.
- ١٦٩- الهمذاني، نفسه، ص ص: ١٥٧-١٥٨.
- ١٧٠- المصدر السابق، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ص: ١٥٨-١٥٩. الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٣٧٢. ابن تغري بردي، النجوم، ج ٨، ص ٢٩.
- \*\*\* سِجاس: بكسر أوله، بلد بين همزان وأبهر.
- انظر البغدادى، مراصد الإطلاع، ج ٢، ص ٦٩٤.
- ١٧١- الهمذاني، نفسه، ص ١٦٢.
- ١٧٢- Le Strang, *The Geographical Part of the Nuzht al-Qulup*, Lyden, 1919, p. 233, note 4;
- انظر كذلك: وصاف الحضرة، تاريخ وصاف، ص ٣٠. الغامدي "سعد بن محمد حذيفة"، المغول في بيئتهم الطبيعية وحياتهم الاجتماعية والدينية، الرياض، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص ص: ١٨٦-١٨٨.
- ١٧٣- وصاف الحضرة، نفسه، ص ٣٠. الغامدي، نفسه، ص ١٨٨. فهمي، نفسه، ص ٢٢٠.
- ١٧٤- الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٢٥. وصاف الحضرة، نفسه، ص ص: ٣٠-٣١. الغامدي، نفسه، ص ١٨٨.
- ١٧٥- الذهبي، العبر، ج ٥، ص ٣٦٦. البديسي "شرف خان"، شرفنامه، الترجمة العربية، القاهرة، ١٩٦٢م، الجزء الثاني، ص ١١. الهمذاني، جامع التواريخ، م ٢، ج ٢، ص ١٦٢. بناكتي، نفسه، ص ٤٤٦. ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج ٢، ص ٣٣٧.
- القزويني، تاريخ كزيده، ص ٥٨٨.
- ١٧٦- الهمذاني، نفسه، م ٢، ج ٢، ص ١٦٢.

- ١٧٧- شبولر، نفسه، ص: ٨٢-٨٣.
- ١٧٨- النويري، نهاية الأرب، ج٢٧، ص: ٤٠١-٤٠٢.
- ١٧٩- القزويني، تاريخ كزيدة، ص: ٥٨٥-٥٨٦. الصياد، الشرق الإسلامي، ص: ١٤٦-١٤٨.
- ١٨٠- ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، ج٧، ص: ٢٧٨-٢٧٩، ج٨، ص: ٦-٧.
- ١٨١- ابن العبري، تاريخ الزمان، ص: ٣٤٤-٣٤٦.
- ١٨٢- خواندمير، حبيب السير، ص: ١٢١.

## **The Struggle between Islam and Paganism in the Eilkhaniah of Iranian Monguls in the Reigns of Tekodar Khan and Arghon Khan**

**Muhammad Salim Bakr Ba amer**

*Assistant Professor of Medieval Islamic History,  
History Department, Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz  
University, Jeddah. Saudi Arabia*

*Abstract.* This research paper includes an introduction which indicates the boundaries of the State of Iranian Monguls which had been established by Hulako Khan and had been known by the name of the Eilkhaniah of al-Maghoul in Persia (Iran), and the underlying reason for this name, the Christian-Islamic struggle and the importance of the site of the battle Ain Jaloot in decisively ending this struggle in favor of Islam, the alliance between Christianity and Paganism after the death of Hulako, the rise of Islam and the struggle between it and the Christian-Pagan alliance, the views which were expressed in that regard and how this period represents an important historical state of Iranian-Monguls, for its recording the changes which had taken place in the arena of the sovereigns of Iranian Monguls. This research paper also discusses the reign of Tekodar Khan with respect to his genuine name, his Christianization, his inclination to Islam, his emergence on the political stage of events and how he was the right man for that period, his characteristics, his conversion to Islam, the political foreign circumstances in his reign, the criticism against him and the defenses against the accusations relating to him, his internal and external achievements, his involvement in the strife for the crown with his nephew Arghon, and the reasons for that conflict. This research paper also discusses the reign of Arghon, his internal policy, the financial crisis, his foreign policy, including his embassies to Western Europe in the period 684-689 A.H. / 1285-1290 A.D., the relations of Arghon with his neighbors, his culture, the archaeological monuments which had been constructed during his reign, his death, and the Mongolian traditions in burying their kings. The conclusion of this research paper includes the diversities of opinions among historians regarding the exact day of Arghon's death, the causes for the influence of the Christian Orthodoxies (Alnasaterah) at his court, and the replies on those who were in doubt of Tekodar's Islamic faith, and how his reign had been regarded as a significant transition which had preceded the birth of a new State in its religion, political affiliation, and policy. The paper also discusses the end of the struggle which had been marked by the triumph of Islam and Muslims.